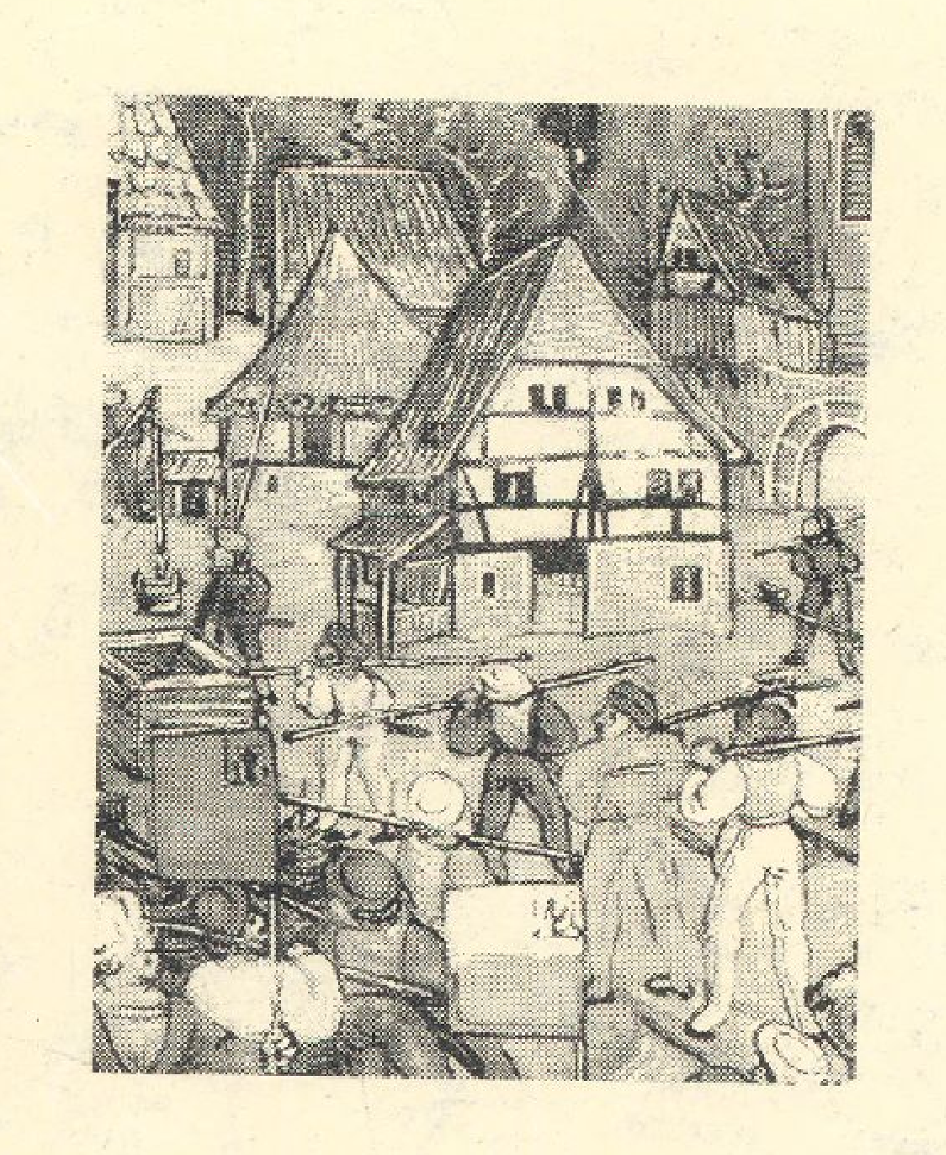
موجز
تاريخ سويسرا

من البداية حتى يومنا هذا

دِيتَر فَارْنِي



المؤسسة الثقافية السويسرية پروهِلْڤِسيا للإعلام والتاريخ والدولة

موجز تاريخ سويسرا

من البداية حتى يومنا هذا

دِيتَرْ فارْنِي*

* بكسرة تحت الدال وكسرة تحت النون قبل ياء المد حتى تكون الكسرة صريحة وإلا نطقت كالياء الثانية فى ميشيل . يسرى نفس الشىء على الضمة فهى صريحة إذا سبقت واو المد مثل رُومانى ، وإلا نُطقت كما فى روما .

كذلك فإننا لا نبدأ بالساكن فى العربية ، كما نمنع التقاء الساكنين ، لذلك رسمت السكون لكى نحاول الاقتراب من النطق الفعلى للكلمة الأجنبية .

كما أننى لجأت إلى الإمالة لمقابلة بعض حروف العلة الأجنبية وخاصة حروف الأومْلاوْت الثلاثة . والأصل فى الإمالة هى إمالة الألف إلى الياء فى النطق . لكننى أتوسع فى هذا المفهوم وجعلت إمالة الواو إلى الألف مثل جوتِه ، أو إمالتها إلى الياء كما فى مولّر ، وإمالة الألف إلى الياء فى ڤانْجِى وإمالة الياء إلى الألف كنهر النّين ، وجعلت هذه الياء الأخيرة غير مسبوقة بالكسرة لبيان إمالتها إلى الألف عند نطقها .

< المترجم >

تُصدر المؤسسة الثقافية السويسرية پْروهِلْفِشْيا فى إطار نشاطها الإعلامى سلسلة من الكتيبات تعطى بشكل مختصر المعلومات الأساسية عن الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية فى سويسرا . وكل كتيب كتبه مؤلف مختلف ويعكس وجهة نظره ، ويهدف إلى تعريف القراء بالموضوع بشكل عام فقط نظرا لصغر حجم الكتيب . ولكن من الممكن الرجوع إلى المؤلفات الدراسية المفصلة الملحقة فى نهاية الكتاب لِمَنْ يرغب فى الاستزادة .

كَتَب الدكتور مارْكوس فُورَّر فصل سويسرا *اليوم* .

پروهِلْفِشْيا

المؤسسة الثقافية السويسرية

٢٢ هِيرْشِنْجرابِن

سويسرا - ٨٠٢٤ زيوريخ

ترجمة

ضياء الدين محمد بدر

صدرت هذه الترجمة عَنْ پروهِلْفِشْيا القاهرة

طرف السفارة السويسرية

١٠ شارع عبد الخالق ثروت

رقم إيداع الطبعة الأولى من الترجمة العربية

بدار الكتب ١٩٨٩/٥٨٧٨

طُبع بمصر المحروسة بمطابع الأهرام بكورنيش النيل .

صدرت الطبعة الأولى من الترجمة العربية فى أكتوبر ١٩٨٩ ، والثانية فى يوليو ١٩٩١ ، والثالثة فى يناير ١٩٩٥ ، والرابعة فى سبتمبر ١٩٩٧ ، والخامسة فى يناير ١٩٩٩

المحتويات

مقدمة

يُحتفل أحيانًا بدولة سويسرا الصغيرة الواقعة فى قلب أوربا على أنها أقدم جمهورية فى العالم . ولا يحاول هذا الكتيب إثبات هذا بمعالجته المختصرة لتطور سويسرا من البداية حتى وقتنا الحالى . إنه بالأحرى يعرض تاريخ سويسرا فى سطور قليلة ابتداءً من عصر الرومان حتى تأسيس الاتحاد الكونفدرالى القديم ، ثم إلى الدولة الاتحادية السويسرية ومنها إلى دولة سويسرا : الدولة الأوربية الصغيرة الحديثة . الهدف هو تقديم تاريخ سويسرى معاصر يكون مفهوما أيضا من القارىء عند معالجة العلاقات المعقدة بين السياسة والتطور الاقتصادى والتحول الاجتماعى .

ربما شعر المؤرخ الذى يعرف شيئا عن تاريخ سويسرا بعدم الارتياح فى موضع أو آخر بسبب النقص الشديد فيما هو معروض . فهذا الإيجاز لا يكاد يسمح بمعالجة أهم العناصر بالتوسع المطلوب . وتقتصر التطورات السياسية والاجتماعية على بعض ما هو أساسى فقط . فلا تحظى الـ ٥٠٠ سنة من تاريخ الاتحاد الكونفدرالى القديم باهتمام أكبر من التطور الذى حدث فى القرنين ١٩ و ٢٠ . ويظهر هذا الإيجاز فى العصر الحديث فى السياسة الخارجية والمعاهد السياسية بسويسرا وغيرها . فهذه المواضيع سوف تُعالج بشكل أكثر تفصيلاً فى كتيبات أخرى لپروهلْفسْيا .

وتوجد فى نهاية الكتيب قائمة ملحقة موجزة بقدر الإمكان بمزيد من المراجع تستطيع أن تزوِّد القارىء المهتم بمفهوم أعمق عن سويسرا . وإذا ما نجح هذا الكتيب فى إثارة المناقشات عن التطور التاريخى لسويسرا بجانب المعلومات التى يقدمها فإنه يستوفى هدفه وزيادة

سويسرا قبل قيام الاتحاد الكونفدرالى

١ العصر الرومانى وبواكير القرون الوسطى

لم يكن الإقليم الذى تقع فيه سويسرا اليوم فيما بين بحيرتى جنيف وكونستانس (بودِنْزى) فيما بين وديان الألب الجنوبية ، والراين والجورا يمثل حتى أواخر القرون الوسطى أى وحدة لا كدولة سياسية ولا حتى كوحدة ثقافية .

وقبل أن تتسع الإمبراطورية الرومانية عبر جبال الألب نحو الشمال كانت هناك *قبائل كِلتيه* مختلفة تسكن هذا الإقليم كان أهمها *الهلْفِتِير* التى استقرت فى وسط هذا الإقليم بين الألب والجُورا ، وقبيلة *الرِّيتِير* فى جْراوْ بونْدِن[1] الحالية . ثم وقعت *أيضا الأقاليم الكِلْتية لسويسرا تحت السيادة الرومانية* مع بلاد الغال بعد الهزيمة فى معركة *بِيْبراكْتى* ضد يوليوس قيصر (٥٨ ق . م) .

وبسرعة وحَّد السكان الكلتيون أنفسهم فى الدائرة الثقافية الرومانية ، وحظوا فى القرنين الأولين بعد الميلاد بعصر رخاء وهدوء . وكانت أهم مدينة فى سويسرا الرومانية هى *أَفْنتيكُوم* (تدعى اليوم أَفَنْش فى مقاطعة الفُو) والتى كانت قلاع أسوارها تحمى سكانها الـ ٥٠٠٠٠ ، وأقيمت فيها شبكة ممتازة من الشوارع مازالت آثارها موجودة إلى اليوم وظهرت شبكة مواصلات قوية مع مركز الإمبراطورية عبر جبل سانت بِرْنهارْد الكبير فى الغرب ، وعبر ممارات بونْدْنَر[2] فى الشرق (يُولِير ، شْپْلوجِن[2] أوبَرْأَلْپ) .

وانتهى زمن الهدوء مع الغزو الجرمانى للإمبراطورية الرومانية : ففى عام ٢٦٠ بعد الميلاد عبر *الآليمانيون* لأول مرة الحدود الشمالية الحصينة (اللِّيمس) متجهين نحو الجنوب . ولم يتمكن الرومان أن يثبتوا حدود الراين والدانوب مرة أخرى إلا لفترة قصيرة . وتحولت هِلْفِتِيين وريتِين بسرعة كَبيرة إلى *مناطق* حدود عسكرية أصابها الفقر . وأجبرت روما أخيرا حوالى عام ٤٠٠ على أن تسحب جنودها من مناطق الألب الشمالية واستسلمت الإمبراطورية الرومانية الغربية لهجمات هجرة الشعوب

(١) تُنطق الواو الثانية بإمالتها إلى الياء . (٢) بإمالة الواو إلى الياء .

الجرمانية . وابتدأت مراكز المدن فى السقوط ، وانقطع الاتصال بمنطقة البحر الأبيض المتوسط الهامة بالنسبة للتجارة .

استقرت قبيلة البُورْجُونْد الجَرمانية فى الغرب ، بينما استقر الآليمان فى شرق سويسرا الحالية . وبينما اتخذ البورجونديون لأنفسهم اللغة الرومانية والدين المسيحى ، استبقى الغزاة الآليمانيون ثقافتهم الجرمانية . ونشأت تدريجيا *تلك الحدود اللغوية التى ما زالت قائمة حتى اليوم فى سويسرا بين اللغتين الرومانية والجرمانية* أى الفرنسية والألمانية .

ثم وقع *البورجونديون والآليمانيون* فى القرن السادس الميلادى تحت سيادة الفرنك . وساعد ملوك الميروفِنْجيان والكارولِنْيان المسيحية اللاتينية على أن تضرب بجذورها وأن تؤسس فى أوربا إمبراطورية كبيرة تقوم على الإنتاج الزراعى . وعندما قُسِّمت إمبراطورية شارلمان فى سنة ٨٧٠ أصبحت بُورجُونديا تابعة لمملكة الفرنك الغربية ، بينما تبعت آليمانيا مملكة الفرنك الشرقية .*وأصبح خط الحدود بين جزءى الإمبراطورية يمر بما يعرف بسويسرا الآن* والتى لم تكن وحدتها فى ذلك الوقت بالقوة التى أصبحت عليها بعد ذلك .

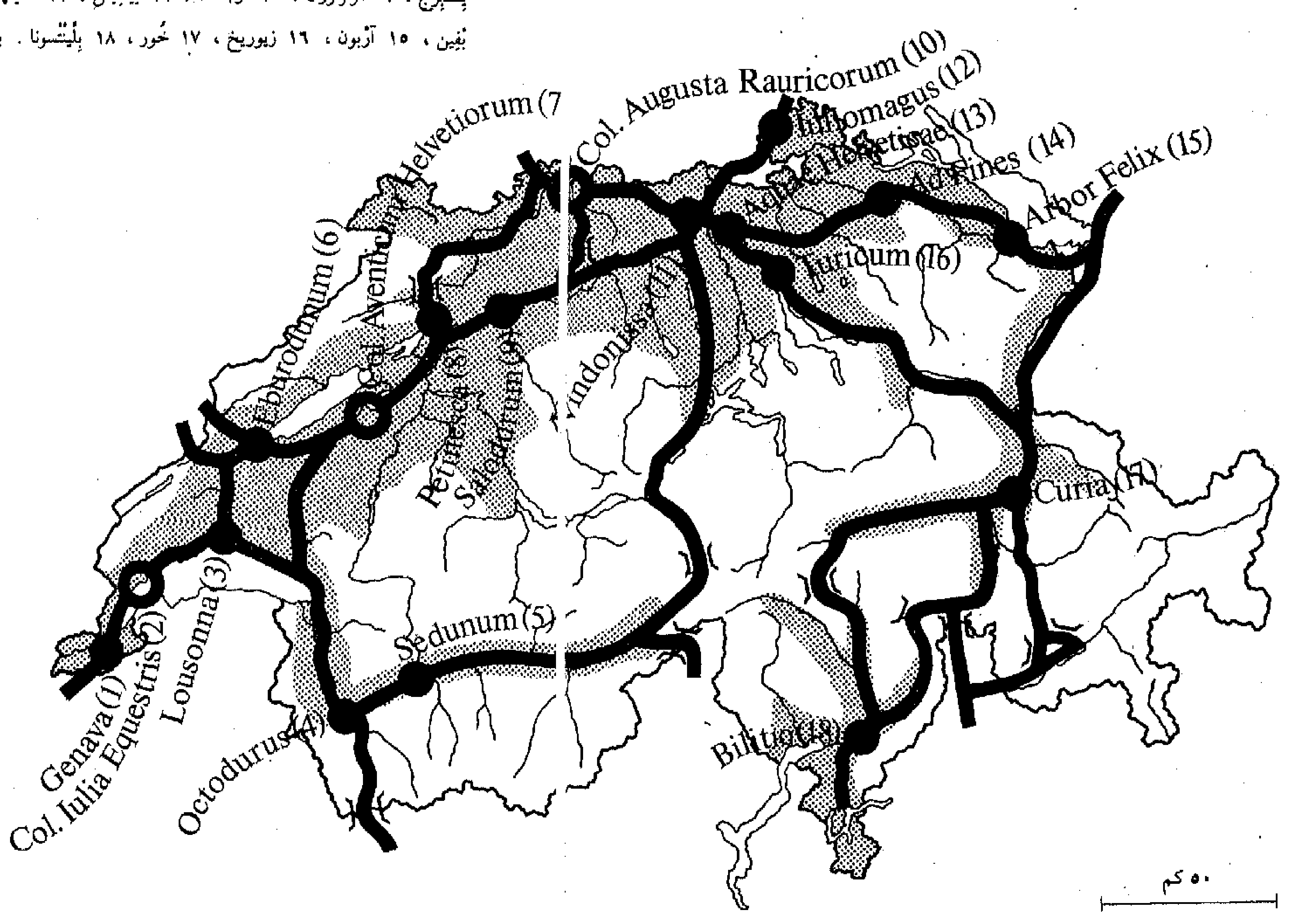
٢ المجتمع الإقطاعى للعصور الوسطى

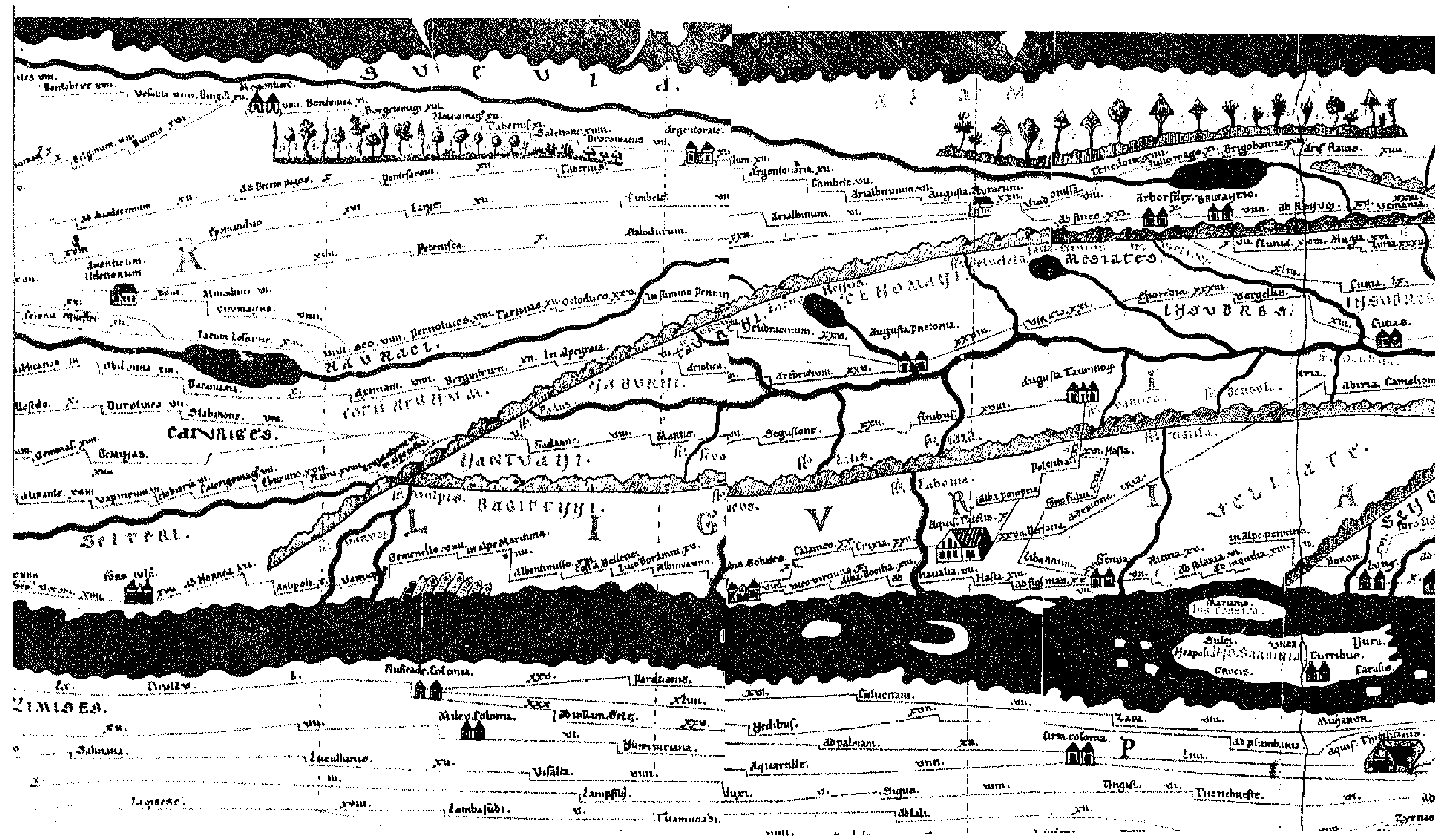
انتشر مع الفرنك نظام الأشراف *الإقطاعى* فى كل أوربا . وحظى الأشراف المحاربون بحق تملك الأرض باعتبارها أهم وسائل الإنتاج بالإضافة إلى مَنْ يعملون عليها . وارتبطت السيادة القبلية الجرمانية بتقاليد الإدارة الرومانية . وأصبح ملاك الأرض تابعين للملك مقابل الأراضى التى منحت لهم بمعنى أنه كان يجب عليهم أن يؤدُّوا له الخدمات العسكرية والإدارية . وفى مقابل ذلك كان عليهم واجب حماية الفلاحين المزارعين . كما كان لهم امتيازات مختلفة وعديدة فيما يختص بتحكيم القضاء والضرائب .

قام فى أوربا *مجتمع زراعى* يكاد يحيا كليةً على ما تنتجه الأرض الزراعية .

سويسرا زمن الرومان

سويسرا زمن الرومان والمناطق المأهولة فيها (المظلّلة) حسب معلوماتنا حتى الآن ، وشبكة الطرق ، وأهم المدن ومن بينها المدن الثلاث (المستعمرات الرومانية) التى كان يسرى فيها القانون الرومانى وهى : نيون ، وأڤانش ، وأوْجَسْت . وفيما يلى الأسماء الحديثة للمدن المرقّمة : ١ جنيف ، ٢ نيون ، ٣ لوزان ، ٤ مارْتينى ، ٥ زيتّن ، ٦ إيڤرْدون ، ٧ أڤنْش ، ٨ پِنْتبِرْج ، ٩ سولوتُورن ، ١٠ أوْجَسْت ، ١١ ڤِينْدِيش ، ١٢ شْلَيْتهايم ، ١٣ بادِن ، ١٤ بْفِين ، ١٥ آرْبون ، ١٦ زيوريخ ، ١٧ خُور ، ١٨ بِلَيْنْتسونا . پونْكتُوم ، زيوريخ .





جزء مما يدعى بلوحة پويتينجرشن ، وهي خريطة رومانية للطرق من القرن ٤ ،
أما النسخة التي ما زالت موجودة منها فترجع إلى القرن ١٢ تقريبا . فوق إلى اليمين
بحيرة كونستانس والغابة السوداء . دار نشر پتسيجر ، زيوريخ .

وسقطت المدن وتراجعت حركة المال ، ولم تتبق من الثقافة الماضية إلا آثار لها فى بعض مراكز الأسقفيات وكانت إنتاجية مزارع الريف ضئيلة ، لا تتعدى غالبا حد المجاعة . وبقيت أجزاء كبيرة من أوربا دون أن تُمس ، مغطاة بالغابات والمستنقعات ، أو تُركت بورًا .

لكن هذا *المجتمع الزراعى* فقد توازنه فى القرنين ١٢ و١٣ : إذ بدأ تعداد السكان يزداد مع زيادة إنتاجية المزارع الريفية . واستُصلحت مساحات هائلة من أراضى الغابات والأراضى البور ، وتقدمت الزراعة فيها بخطوات سريعة . وساد نظام المناوبة الثلاثية فى الزراعة كما انتشرت أنظمة جديدة سريعة . وساد نظام المحراث . وتمكن المزارعون من تحسين وضعهم الاجتماعى والقانونى ، ويرجع ذلك إلى أن ملاك الأرض لم يعودوا يلتجئون إلى السخرة لزراعتها ، إنما تركوا أمر زراعتها للفلاحين بعقود إيجار طويلة الأمد مقابل إيجار عينى أو مالى .

انتعشت مرة أخرى *العلاقات التجارية* مع بيزنطة والعرب فى منطقة البحر المتوسط الأمر الذى أدى إلى جلب بضائع الرفاهية إلى أوربا ، وزادت احتياجات الأشراف إلى المال . وحاول السادة أن يستحوذوا لأنفسهم على الزيادة التى حدثت فى إنتاجية الاقتصاد الزراعى عن طريق بيع حق استغلال الأرض ، وتأجير سلطاتهم القضائية ، وفرض ضرائب جديدة . وقُسِّمت أراضى الإقطاع الشاسعة التى كانت سائدة فى العهد الكارولينى إلى وحدات أصغر كان عليها أن توفر احتياجات عدد متزايد من النبلاء ورجال الكنيسة والفرسان . وظهر خليط عجيب من حقوق المِلْكية ، وعلاقات السيادة ، والألقاب الشرعية .

أدّى تمزق *علاقات النبالة* فى القرنين ١٣ و١٤ والذى تسبب فيه النظام الإقطاعى إلى النزاع المستمر بين الأشراف . ولم يستطع إلا سادة الأرض الأقوياء جدًا أن يستردوا أراضى إقطاعياتهم التى سبق أن منحوها لتابعيهم بعد موت هؤلاء الأتباع . إذ حاول هؤلاء الأقوياء أن يوحدوا ممتلكاتهم المبعثرة فى وحدة واحدة متماسكة من الأراضى وأن يجبروا النبلاء الأقل شأنا على أن يدوروا فى فلكهم إما بالحرب ، أو الزواج أو الشراء .

وإذا ما حدث أن انتهى أجل عائلة من الأشراف ، فإن العائلات التى تَمُتّ إليها بصلة القرابة أو العائلات المنافسة المحاربة كانت تنقضّ على أراضيها وتستحوذها لنفسها .

كانت الأراضى التى تُعرف اليوم باسم سويسرا مسرحا للعديد من هذه الصراعات فكان هناك أولا الصراع بين عائلتى *التسارِينْجَر* [1] *والهُوهِنْشْتاوْفِن* واللتين كانتا تحكمان الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ثم كان الصراع بين عائلات *كِيبُرْج* ، وهوهِنْشْتاوْفِن ، *وساڤوىْ* على الأراضى التى تركها التسارِينْجَر . ومات آخر الكِيبُورْجَر فى منتصف القرن ١٣ ، وخسر الهوهِنْشْتاوْفِن معركتهم ضد البابا ، وانقض البيتان : بيت الهابْسْبُورْج وبيت الساڤوىْ على إرث الكِيبُورْج . وفى نهاية القرن ١٣ أصبح الإقليم الذى يُعرف اليوم باسم سويسرا الحديثة المتكلمة باللغة الألمانية مع أجزاء كبيرة من إقليم السواب تحت حكم الهابْسْبُورْج مباشرة أو تحت نفوذهم القوى .

وحاول الهابسبورجيون أيضًا مثلما حاول جميع ملاك الأراضى أن *ينظموا الإدارة فى إقليمهم* وأن يزيدوا من *قوتها وفاعليتها وأن يحتفظوا بالحقوق القانونية فى أيديهم* ، وأن يحولوا *تابعيهم إلى موظفين مأجورين* .

٣ المدن واتحادات المدن

كان *تأسيس المدن* وسيلة هامة من وسائل السياسية الإقتصادية للأشراف وكان ملاك الأراضى يقدمون فى كل أوربا فيما بين القرن ١٢ والقرن ١٤ مزايا لا حصر لها إلى الفرسان والتجار بغرض تأسيس المدن . وحصل الحرفيون والتجار على مكان مأمون إلى حد ما بجوار القلاع أو الأسقفيات أو الأديرة لعرض بضائعهم وتسويقها . وكان هذا يعنى مصادر مالية جديدة ومزايا استراتيجية للسادة : فالمدينة تقوم بدور المعسكر الحربى كما أنها مركز القضاء .

قامت عائلة التسارِينْجر بوجه خاص بتأسيس كثير من المدن فى القرن ١٢ فى إقليم سويسرا وحصلت : فريبُورْج ، وبِرْن ، *ومُورْتِن* ، *وتُون على* مزايا وحقوق كثيرة باعتبارها مدنا استراتيجية ضد الساڤوىْ والبُورْ جُونْد . وازدهرت الأسقفيات ومراكز

(١) تُنطق ألف تْسَارِيْنجَر بإمالتها إلى الياء .

الرهبنة القديمة مثل بازل وزيوريخ بفضل سادتها من رجال الكنيسة . وتأسيس ما لا يقل عن ٢٠٠ مدينة جديدة حتى القرن ١٤ ولكن لم يصبح إلا للقليل منها شأن كبير بجانب أن حوالى ثلثها تقريبا اختفى نهائيًا من خريطة البلاد .

أسرعت المدن من عملية التفرقة *الطبقية داخل المجتمع الإقطاعي* ووجد عدد كبير من النبلاء *أنفسهم غير قادرين على منافسة البورجوازيين أو سكان المدن اقتصاديا وأصابهم الفقر . وأصبح على الأشراف أن يقرّوا بتفوق هذه الطبقة الصاعدة* . وضربت مدينة برن أحسن مثال علي ذلك فعَقَدت التحالفات مع سادة الأرض الأقل شأنًا ، واشترت منهم بشكل منتظم أراضيهم وحقوقهم القانونية . واستحوذت بهذه الطريقة على مساحات كبيرة من الأراضى كانت سابقًا تحت حكم الأشراف .

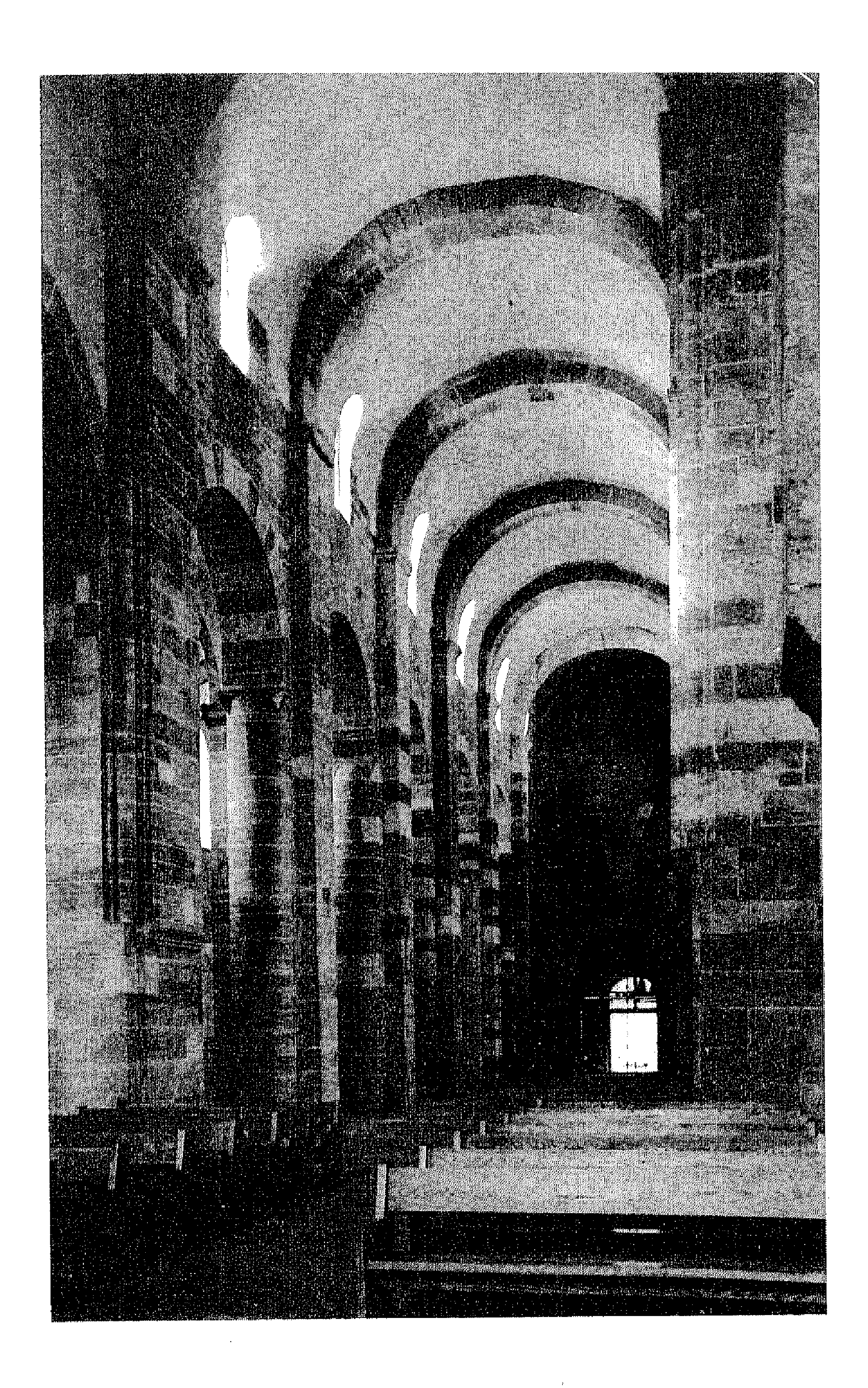
اهتمت المدن باعتبارها مراكز *النشاط الاقتصادى* بتأمين الطرق والأنهار ، وإقامة العلاقات القانونية المحددة ، والقضاء على المنازعات التى كانت تتسبب فى اشتعال الحروب بين الأشراف المتنافسين . أخيرا عملت المدن على إقامة تحالفات ثابتة حتى لا تضطر إلى إعطاء تأييدها العسكرى المستمر لأشرافها . فإذا لم يستطع الأشراف أن يلتزموا بهذه الشروط أو أبدوا عدم رغبتهم فيها فإن المدن كانت تتخذ إجراءاتها الخاصة *للمحافظة على السلام العام وتأمينه* . فالعلاقات السياسية المستقرة كانت ضرورة للتوسع الاقتصادى الذى بدأ الآن فى مراكز أسواق المدن .

وظهر العديد من *اتحادات المدن* فى القرن ١٣ لهذا الغرض . وكانت الاتحادات تتكون من مدينتين أو أكثر ، تشمل أحيانا أعضاء من الأشراف المحليين أيضا . وأقامت برن مثلا نظامًا اتحاديًا متشعبًا باسم « الاتحاد البورجوندى » ، بينما لجأت زيوريخ إلى التعاون مع مدن السواب . أما مدينة بازِل العظيمة فإنها اتجهت فى تحالفاتها إلى المدن الواقعة على نهر الراين .

كثيرا ما كانت هذه التحالفات قصيرة الأجل ، تتجدد إذا ما اقتضت الضرورة ذلك . لكنها كانت تعكس قوة سكان المدن ووعيهم بذاتهم فكانوا يستحوذون تدريجيا على المزيد من حقوق الأشراف ليس فقط داخل أسوار المدن وإنما أيضا فى الأراضى



تأسيس مدينة بِرْن بواسطة الدوق بِرْخْتولْد فون تْسارِنْجن سنة ١١٩١ (تنطق تسارينجن بإمالة الألف إلى الياء). دار نشر أتلانْتِيس، زيوريخ .





الكنيسة التى كانت فيما مضى ديرا فى پَايِرْن ، مقاطعة القو ، فى القرن ١١ أو ١٢ . رولف
ا . شتيلى ، ڤينترتور .

المحيطة بها . لكن فى النهاية خضع اتحاد مدن السواب لضغط الأشراف ، بينما استمر الاتحاد الذى تشكَّل على طول سفح جبال الألب قائما . هذه الحقيقة لها أهمية كبيرة جدًا عند اعتبار المجرى المختلف للتطور الذى انتهجته مناطق شمالى وجنوبى نهر الراين .

٤ - أُورِى وشْفِيتْس أو أراضى الألب المتحررة

لم ينشأ الاتحاد الكونفدرالى السويسرى كاتحاد للمدن فقط ، لكن كتحالف بين هذه المدن وبين الأراضى المتحررة للمزارعين الكائنة حول بحيرة لُوتْسِرْن . وليس من المعروف فيما إذا كانت الحرية التى تمتع بها ملاك الأرض الصغار والمتوسطون عند حافة جبال الألب ترجع إلى بواكير العصور الوسطى أو أنها جاءت مع حركة هجرة الجماعات واستقرارها والتى حدثت فى فترة لاحقة . لكنه من الثابت أنه فى أماكن عديدة من منطقة الألب فى فترة بناء وفتح ممرات الجبال ، قامت اتحادات الوديان تحت قيادة ملاك للأراضى كان بعضهم من أصحاب الملكيات الكبيرة ، ويسمون اللانْدمانّر[1] (رجال الأرض) . وكان « القَسَم » هو الذى يربط اتحادات الوديان يؤديه جميع الأحرار ويؤمّن سلطة اللاندمانر .

وما أن فُتح *ممر جوتهارد* للمرور فى سنوات ١٢٣٠ حتى أبدى حكام الإمبراطورية قياصرة الهوهِنْشْتاوْفِن اهتمامهم الشديد بوديان جبال سويسرا البعيدة الموحشة ، وأسرعوا ليقروا الحقوق والمزايا التى بمقتضاها حصل سكان أورِى وشْفِيتْس على حريتهم داخل الإمبراطورية . لكن مظلة الحماية التى منحها الهوهِنْشْتاوْفِن لهم كانت نظرية أكثر منها عملية ، إذ أنهم كانوا مشغولين بصراعهم ضد البابوية فى إيطاليا .

عقدت العائلات الحاكمة فى وسط سويسرا *معاهدات للمحافظة على السلام العام* كما فعلت المدن ، لكنها كانت غير فعَّالة . فسكان الجبال البدائيون الذين يعيشون على القنص ورعى الماشية كانوا يشنون الغارات ضد بعضهم البعض باستمرار للاستحواذ على مراعى جبال الألب ، بل إلى شن الغارات حتى على أديرة أَيْنْزِيدِلْن وإنْجِلْبِرْج . وكثيرا ما كان الأشراف أنفسهم على رأس هذه الغارات . ولم يرجع الهدوء إلى مناطق

(١) بإمالة الألف الثانية إلى الياء



معركة مورجارتن عام ١٣١٥ . دار نشر اتلانتيس ، زيوريخ

سويسرا الوسطى التى كانت تعرف باسم مقاطعات الغابات إلا فى سنوات ١٢٧٠ عندما انتُخب الأمير الهابسبورجى رُودلف الرابع إمبراطورا على ألمانيا .

ثم جددت العائلات الحاكمة فى أورِى وشْفِيتْس وأُونْتَرْفالْدِن اتحادها للمحافظة على السلام العام بعد موت الإمبراطور وضمنت تأييد زيوريخ لتستطيع أن توفر الاستقرار فى مناطق الهابسبورج التى كانت مسرحًا للقلاقل الشعبية . ثم تكرر هذا المثال باستمرار

فكلما خلا العرش الإمبراطورى ، أو إذا ما هدد الانتخاب بين اثنين من المرشحين فى إثارة المتاعب فإن مقاطعات الغابات كانت تعقد الاتفاقات فيما بينها أو مع غيرها من أجل ضمان مصالحها المشتركة .

وأخيرًا ، كان لابد أن يصطدم هذا الاهتمام بالسلام والأمان مع مصالح بيت الهابسبورج . وأخذت الاتحادات تتجه بشكل متزايد ضد هذه الأسرة الكبيرة من الأشراف وخاصة بعد معركة مورْجارْتِن فى ١٣١٥ . إذ هزم فلاحو مقاطعات الغابات جيشا من فرسان النمسا أرسل إليهم بعد تجدد الاعتداءات على دير أَيْنْزِيدلْن . وأصبحوا بعد انتصارهم هذا أقل استعدادًا لأن ينتقص الأشراف الغرباء حقوقهم .

كذلك حدث إبَّان معركة مورْجارْتِن أن وقف متنافسان على العرش الإمبراطورى ضد بعضهما . وأقرّ أحدهما وهو لُودْفِيج الباڤارِى فورًا وبشكل قاطع بعد الانتصار الذى أحرزه الاتحاد بالوضع المميز للمقاطعات الثلاث : أورِى ، وشْفِيتْس ، وأُونْتَرفالدِن . وأصبح لهذا الاعتراف أهمية عملية بعد أن تغلب على منافسه من بيت الهابْسْبُورج . وأصبحت مقاطعات الغابات نوعًا من مناطق النفوذ المستقلة داخل الإمبراطورية ولم يعد المحافظون ولا الممثلون المباشرون للإمبراطور يظهرون فيها منذ منتصف القرن ١٤ .

وأخيرًا شهد النصف الثانى من القرن ١٤ سقوط *أوليجاركية عائلات الأشراف* التى سبق لها أن أحرزت سلطة اقتصادية وسياسية كبيرة خلال الصراع ضد الهابسبورج النمساويين . وأمّمت اتحادات الفلاحين المحلية أراضيهم كما استولت على حقوقهم فى فرض الضرائب ومزاولة السلطة القضائية . وأخذت تتكون *الاتحادات الريفية* التى استطاع الناس أن يعبّروا فيها عن إرادتهم بطريقة ديموقراطية . وسارت هذه الحركة الديمقراطية بين الفلاحين الذين أخذ وعيهم يتزايد بقوتهم بشكل متوازٍ مع قيام اتحادات الطوائف فى المدن ، فكانت أساس المعارك الحربية التى قامت فيها بعد بهدف إحراز السيادة .

تأسيس وقيام الاتحاد الكونفدرالى

١ اتحاد المدن والمناطق الريفية

تأسس الاتحاد الكونفدرالى حسب الرواية. الأسطورية فى عام ١٢٩١ فوق مرج روتْلِى[١] على بحيرة لُوتْسِيرْن . ويقال إن ممثلى الفلاحين الأحرار من أُورِى ، وشْفِيتْس ، وأُونْتَرْفالْدِن أقسموا على مساعدة بعضهم البعض من أجل التحرر من عبودية الهابسبورج . وكان *السهم الذى أطلقه ڤِيلْهِلْم تَل على ممثل الإمبراطور* هو الإشارة بطرد المستبدين . وكان أن كُتِبت كل تواريخ العصور الوسطى المتأخرة فى سويسرا متمشية مع أنغام أسطورة التحرر هذه بدون استثناء . لكنها كُتِبَت بعد فاصل زمنى بعيد عن الأحداث يقارب الفاصل الذى يفصلنا اليوم عن الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٨٩ . إن أسطورة ڤِيلْهِلْم تَل وتأسيس الاتحاد الكونفدرالى هى صيغة أدبية شعبية عن الثورات فى مقاطعات الغابات ، لتشخيص أفكار التحرر وتبرير التمرد . وحَظَت أسطورة ڤِيلْهِلْم تَل باعتباره بطل الحرية وبطل تأسيس سويسرا بمعالجات أدبية متعددة كان أشهرها مسرحية فريْدرِيش شِيلَر التى تحمل نفس اسم البطل .

وبالرغم من أن الاتحاد الكونفدرالى لم يكن اتحاد مدن ، إلا أنه كان اتحادا لا يستطيع أن يقوم بدون مساندة المدن له . ولا يبدأ تاريخه إلا حيث توجد أولى الروابط الثابتة بين المدن والمناطق الريفية وكان ذلك فى منتصف القرن ١٤ .

فى ١٣٣٢ دخلت *لُوتسرن* التى كانت ترغب فى التخلص من سادتها الهابسبورجيين فى تحالف مع مقاطعات الغابات التى كانت تحت الحكم الإمبراطورى مباشرة . واتخذت زيوريخ نفس الخطوة فى عام ١٣٥١ إذ خشيت بعد ثورة الطوائف المهنية التى حدثت فيها أن يحاول الأشراف استعادة قوتهم ، وفى ١٣٥٣ قامت برن التى كانت تكافح من أجل توسيع نفوذها غربًا بتغطية ظهرها بالتحالف مع مقاطعات الغابات . كانت هذه التحالفات فى بدايتها مقصورة على تأكيد المساعدة المتبادلة ، ولم يكن الهدف من عقدها هو النظرة التاريخية نحو

(١) تُنطق واو روتْلِى بإمالتها إلى الياء .

تأسيس دولة . كانت بالأحرى تهدف إلى المحافظة على السلام ، والدفاع عن حق الموقعين فى الحكم الإمبريالى المباشر الذى كان يهدده الأشراف . لكن ضم أراضى الهابسبورج القديمة مثل *أونترفالدن* ، *لوتْسيرن* ، جلا*رُوس* ، *تْسُوج* كان تحديًا لحقوق < المِلْكِية الخاصة > لهذه الأسرة فى تلك البلاد ، وتسبب فى إثارة الصراع من جديد .

واضطر الهابسبورج النمساويون بعد نزاعات عديدة كبيرة وصغيرة إلى الانزواء تدريجيًا . ونجحت أقاليم الاتحاد الكونفدرالى الواحد تلو الآخر فى إحراز الاستقلال من سادة الأرض . وحققوا خطوةً بعد خطوة *سيادتهم الإقليمية* . وتمكنت أقاليم الاتحاد الكونفدرالى من الحصول على المزيد من الحقوق عن طريق عقد المعاهدات مع الأديرة وملاك الأرض الصغار ومنح حقوق المواطنة فى المدن للأشراف فى الريف وعن طريق شراء الأرض أو شن الحرب .

ظفر المتحالفون فى معركتى *سِمْپاخ* (١٣٨٦) *ونافِلْس*[1] (١٣٨٨) بانتصارات عسكرية كبيرة ، أصابت حكم الأشراف بضربات قاصمة فى الوقت الذى كان ينهار فيه اتحاد مدن السواب . وأُبرمت اتفاقيتان جديدتان : *ميثاق القسس واتفاقية سِمْپاخ* تجدد العهد فيهما بالاستيلاء على السلطة القضائية فى كل المناطق التى يسيطرون عليها سياسيًا ، وتأمين سلام البلاد ، وتحقيق مزيد من النظام فيما يختص بالعمليات العسكرية .

وبالرغم من أن اتحاد الأقاليم الثمانية ، والذى لم يكن فى الحقيقة إلا نظام اتفاقيات يشمل كل منها على ثلاث أو أربع أو خمس مناطق ، استمر فى غاية التفكك إلا أننا نستطيع أن نتحدث بحق فى *نهاية القرن ١٤ عن اتحاد* كونفدرالى بدأ يتخذ *صورة الدولة المستقلة داخل الإمبراطورية الجرمانية* . وكانت عملية الاستقلال هذه تجرى أيضا على طول منحدر جبال الألب فى نفس الوقت إذ أن مناطق أخرى من الإمبراطورية كانت تتحول من النظام الإقطاعى إلى نظام الإمارات المرتبطة بالاتحاد . وهناك ميزة فريدة تكمن فى تطور الاتحاد الكونفدرالى ألا وهى ظهور *العنصر البورجوازى* بشكل مبكر عن ظهوره فى أى مكان آخر بسبب التغير الذى حدث فى السيادة الهابسبورجية ، والضعف الذى أصاب الأشراف المحليين . واستولت المدن التجارية المهنية والمناطق الريفية على السلطة التى ورثتها عن الأشراف .

---

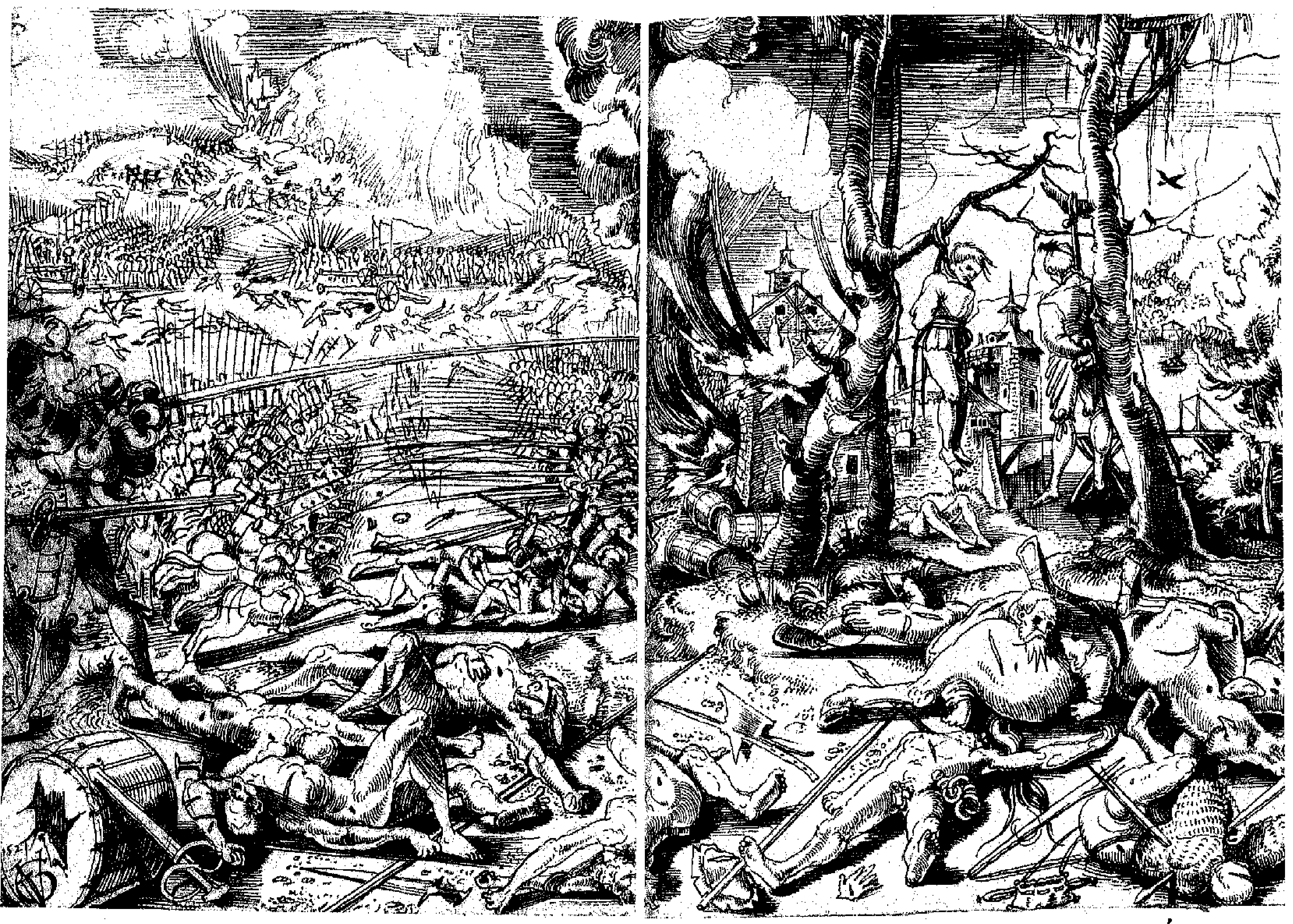
(١) تُنطق بإمالة الألف إلى الياء .

ما أن تحررت المدن والمناطق الريفية من وصاية الأشراف حتى قامت من جانبها بغزو *مناطق تكون خاضعة لها* . وبدأ عصر من التوسع الحربى للاتحاد الكونفدرالى امتد مائة سنة وأصبح عصر البطولة فيما بعد عند كتابة التاريخ الوطنى .

وعَبَر الأُوريون والأوبڤالديون ممر جوتْهارْد ليستولوا على *وادى لِڤِنتينا* لتأمين طريق تجارتهم نحو الجنوب . وأعطت الثورات التى قام بها أهالى *أَبِنْتْسِيل وسكان مدينة سانت جالِن* ضد رئيس رهبان هذه المدينة الفرصة المواتية للمتحالفين فى الاتحاد أن يمدوا سلطتهم فى اتجاه بحيرة كونْستانْس . ثم قام النزاع بين البيت النمساوى وبين سيجْمُوند قيصر اللوكسِمْبُورج الأمر الذى سمح لهم بنقض سلام الـ ٥٠ عاما مع الهابسبورج وأن يقوموا بغزو *آرْجاو* .

وكلما نقصت أراضى الإقطاع فيما بين المدن ، ازدادت المنافسات بينها . فاصطدمت برن مع فريبورج فى القُو ، ومع لُوتْسِيرن فى آرجاو . وتنافست زيوريخ فى الشمال مع شافْهاوْزِن . وبعد أن مات آخر أشراف توجُنْبُورْج فى ١٤٣٦ تورطت زيوريخ فى حرب صغيرة لمدة ١٠ سنوات مع شْفِيتْسْ التى ادعت أيضا أنها الوريث الشرعى لهذه الدوقية . ولم تستطع زيوريخ بالرغم من ميثاقها مع النمسا من أن تفرض رغباتها على باقى الاتحاد الكونفدرالى فى < حرب زيوريخ *القديمة* < (١٤٣٩ ـ ١٤٤٦) . ولم يستمر السلام مع النمسا طويلاً : إذ لم يلبث أن هجم المتحالفون على إقليم *التُورْجاو* يسرقونه وينهبونه ، ثم قاموا بضمه . وفى سنة ١٤٦٧ اشترت زيوريخ حق السيادة على مدينة ڤِينْتِرْتُور . وبذلك لم يتبقَّ للنمسا جنوبى الراين إلا بقعة صغيرة بالقرب من بازل .

ويتحول الآن مركز العمليات الكونفدرالية إلى الغرب . وأثبتت البيادة السويسرية من جديد قوتها الضاربة فى حروبها ضد *شارْل البُورْجونْدى الملقب بالشجاع* فيما بين ١٤٧٤ و ١٤٧٧ . وبالرغم من الاهتمام الذى أبدته برن فإنها لم تستطع أن تحول



رسم بالريشة لأُورْس جْراف من عام ١٥٢١ . وتبين الصورة أهوال الحرب عندما تدور رحى المعركة بالطريقة التى كانت تدور بها فى حروب مايلاند . *متحف الفن* ، *بازل* . *قسم الحفر على النحاس*

النصر إلى مكاسب إقليمية كبيرة . وأبدى المتحالفون عدم اهتمامهم إذ أنهم كرهوا أن تزداد هذه المدينة قوة على قوتها . كذلك لم تحقق< *حرب السواب* > تحت قيادة زيوريخ فى نهاية القرن أى مكاسب كبيرة باستثناء حق القضاء العالى فى تُورْجاو . ونشبت عدة معارك فيما بين ١٤٩٩ و ١٥١٥ ضد *دوقية* ميلانو أخذ فيها المتحالفون الكونفدراليون فى أول الأمر جانب الملك الفرنسى ثم جانب البابا بعد ذلك . ووضعت هذه الحروب مساحات أخرى كبيرة من الأراضى جنوبى جبال الألب تحت سيادة الاتحاد الكونفدرالى المحارب .

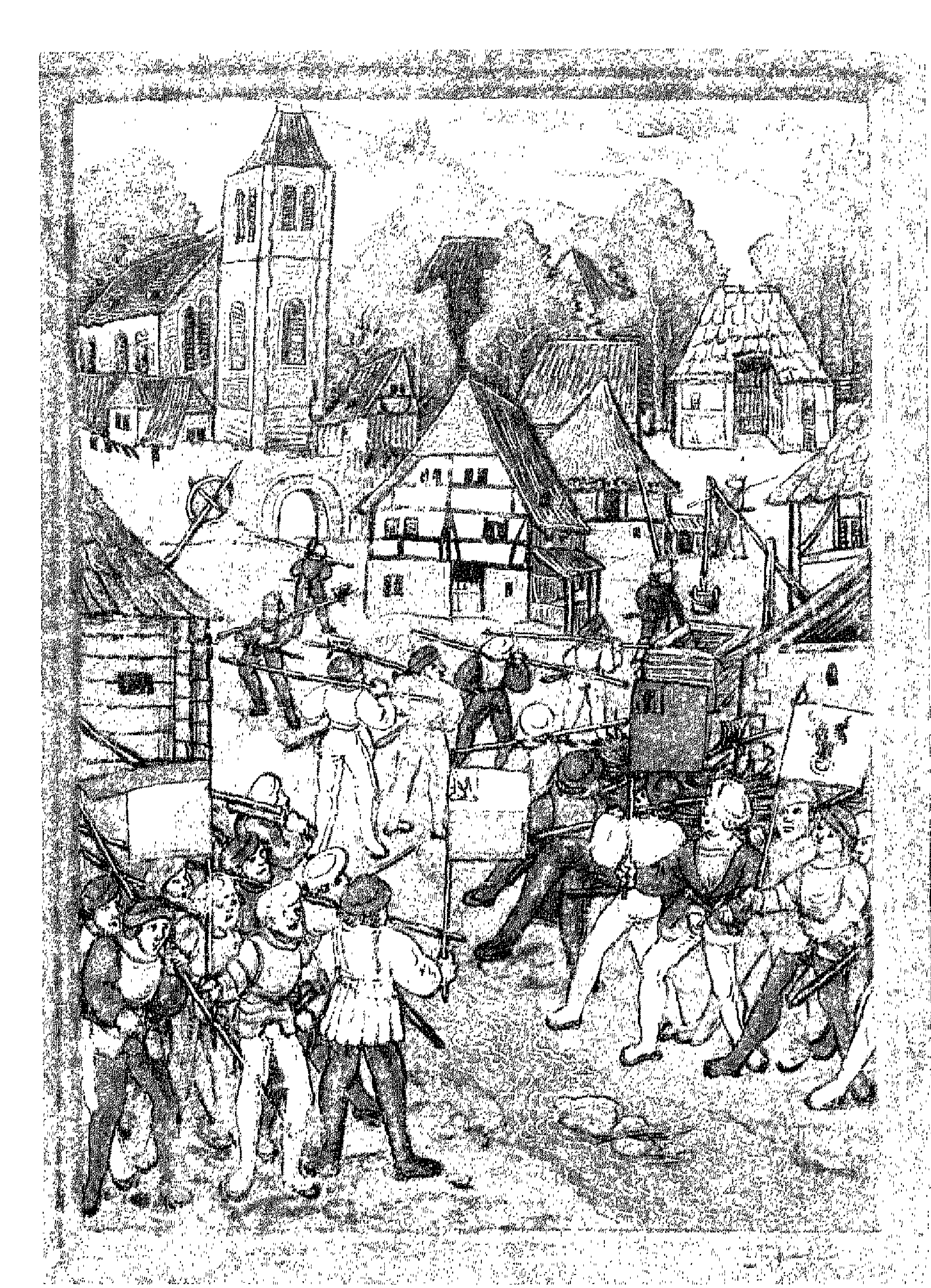
أصبح الاتحاد الكونفدرالى فى نهاية هذه الحقبة من التوسع الإقليمى اتحادا يضم ١٣ مقاطعة بدلا من ٨ : إذ انضمت إليه *فريبُورْج وسولوتُورْن* بعد حرب بورجونديا *وبازِل وشافْهاوْزِن* بعد حرب السواب . أما *أبِنْتْسِيل* فإنها انضمت أخيرا خلال المعارك ضد ميلانو . وكان *لسانت جالِن ومولْهاوْزِن* [1] وضع قانونى أدنى باعتبارهما < مناطق ملحقة > ، وكذلك كان الأمر بالنسبة *لاتحادات وديان جراوْبونْدن* و *ڤاليه* .

كانت المناطق الـ١٣ تملك بجانب أراضيها التى كانت شاسعة أحيانًا *أقاليم خاضعة* تديرها على نحو مشترك وكانت هذه الأقاليم الخاضعة تقع فى آرْجاو ، وتُورْجاو والأراضى حول سارْجان وجنوبى الجوتْهارْد . *وظهرت أول هيئة عامة لمناطق الاتحاد الكونفدرالى باسم تاجْزاتْسُونْج* لحل المشاكل الإدارية ، لهذه الأقاليم . وكانت هذه الهيئة تعقد اجتماعاتها بشكل منتظم ولكل طبقة اجتماعية ممثلان ، لكن ليس لهما إلا صوت واحد فقط .

وحافظ الاتحاد الكونفدرالى على مدى ما يقرب من ٣٠٠ سنة على الصيغة القانونية التى تبناها فى بداية القرن ١٦ حتى انهياره فى سنة ١٧٩٨ .

---

(١) تُنطق بإمالة الواو الأولى إلى الياء .



جوسّاو : منظر نموذجى لقرية سويسرية فى بداية القرن ١٦ بمنازلها الخشبية ، والأسطح مغطاة بالقش أو قطع الخشب أو الآجر ، وكانت المنازل المصنوعة من الحجر لا تزال نادرة فى ذلك الوقت . والصورة مأخوذة من حوليات لُوتسرن لِديبولْد شِيلِينْج فى ١٥١٣ . دار نشر فاكسيميلى ، لُوتسِيرْن .



محارب سويسرى ، حفر فى الخشب لهانْس رُودُلْف مانّوِل . متحف برن التاريخى .

٣ النزاع بين المدينة والريف

كشف الصراع على إرث توجنْبُورْج أن التحالف فى الاتحاد الكونفدرالى كان يعانى من أنواع *مختلفة من التوترات* . فكثير من المناطق كانت تتنافس على نفس الأقاليم الخاضعة ، وكانت المنافسة مستمرة بين سكان المدن وأهالى الريف ، كما تسببت الحملات الحربية العديدة ، والجنود السويسريون المرتزقة فى عدم الاستقرار الاجتماعى . وكان التناقض بين المدينة والريف يحصل باستمرار على وقود جديد يشعل حدته وذلك بالمحاولات المستمرة لسكان المدن فى أن يضمنوا سيطرتهم المطلقة على النظام القضائى ، والبوليس ، والإدارة فى الأراضى الخاضعة لهم حتى يستخلصوا لأنفسهم كل المزايا الاقتصادية ، ويحصلوا على إتاوات الإقطاع القديمة .

كان أشهر هذه النزاعات المقاومة التى أبداها سكان الريف فى مقاطعة زيوريخ ضد حكم عمدة المدينة *هانس ڤالْدمانّ* (١٤٣٦ - ١٤٨٩) الذى كان يمثل ويدافع عن مصالح الطوائف الصناعية والمهنية ضد أرستقراطية المدينة ، ويدافع عن مصالح المدينة ككل ضد أهالى الريف . وأصدر قوانين بوليسية جديدة ، وانتهك الحقوق الإدارية القديمة للجان الفلاحين مما أثار الفلاحين ضد الدولة إلى درجة أن الأمر وصل فى ليلة الصيام عام ١٤٨٩ إلى تمرد مسلح . وسقط ڤالْدمانّ وشنقه معارضوه من الأشراف . وأُلغيت بعض تجديداته بتوصية من الاتحاد الكونفدرالى الذى تدخل لوضع حد للنزاع ، ولكنه تقرر بشكل واضح أن أهالى الريف يجب عليهم طاعة أسيادهم الأشراف فى المدينة .

كانت النزاعات التى قامت بين مناطق المدينة ومناطق الريف حادة بوجه خاص نتيجة للإثارة التى كان يقوم بها الفلاحون الأحرار فى *الأراضى الخاضعة* فى شْقِيتْس ، وأبِنْتْسِيل ، وأوبْقالْدِن الذين أصروا على أن تُحترم حقوقهم القديمة وعاداتهم فكانوا يشنون خطبهم على سادتهم من سكان المدينة فى الاجتماعات العامّة مثل اجتماعات تكريس الكنائس ، أو كرنڤالات ليلة الصيام ، أو أعياد إطلاق



حفر فى الخشب لنيكْلاوْس فون فْلو (بإمالة واو فْلو إلى الياء) الذى كان وسيطا بين المدينة والريف ويحظى بشهرة أسطورية . *المكتبة المركزية* ، زيوريخ .

السهام . وغالبًا ما كانت هذه المناسبات تنتهى بحوادث الشغب التى تصل أحيانًا إلى مستوى حملات حربية حقيقية ، كان من أشهرها حملة *زاوُبانْرتْسُوج* عام ١٤٧٧ عندما قام عدد كبير من الجنود المرتزقة وشباب الفلاحين بعد كرنفال ليلة الصيام متجهين إلى جنيف ، لكى يحصلوا على أموالهم التى يستحقونها عن الخدمات التى أدوها خلال الحروب البورجوندية . ونجحت المدينة أخيرًا فى ردّ الجموع الغاضبة بأن وعدتهم بدفع مستحقاتهم ، وبعد أن غمرتهم بالخمور .

هذه الاحتجاجات المسلحة التى كادت أن تكون تمردا حقيقيا أقلقت المدن إلى أبعد الحدود . فاتحدت فى حلف دفاعى شمل بجانب بِرْن وزيوريخ ولوتسرن ، سولوتُورْن / وفريبُورْج أيضا . وجاء الآن دور أهالى الريف لأن يشعروا بالتهديد من جانب المدن ، وطالبوا بحل هذا الحلف . وحوَّمت احتمالات الحرب بين المدينة والريف مرة أخرى ، ولكن *ميثاق شْتانْس* قدم تهادنا فى ١٤٨١ ، وافقت فيه الأطراف المعنية على تجنب إثارة السكان فى المناطق الخاضعة والتعاون على إخماد القلاقل . وتحقق هذا الميثاق نتيجة لمجهودات الوساطة التى قام بها الراهب *نِيكُولَاوْسْ فون فْلو*[1] الذى نادى بوجوب الالتزام بالهدوء والتعقل وتضمنت الأساطير دوره بشكل كبير فيما بعد .

٤ حياة الارتزاق

كان لأعضاء الاتحاد الكونفدرالى سبب معقول لأن يتحدوا دفاعا عن حقوقهم فى السيادة ، إذ أنه نشأ من حياة الارتزاق المنتشرة بشكل واسع صراعات متزايدة بين المحاربين الفلاحين وبين العائلات الحاكمة فى المدينة والريف .

وغالبًا ما كان *المصدر الوحيد للتعيّش للشبان من الرجال* فى الوديان المزدحمة بالسكان هو القيام بالخدمة العسكرية خارج البلاد . وازداد منذ بداية القرن ١٥ هذا التطوع فى السلك العسكرى الأجنبى بشكل سريع . *وأغدق الأمراء الأجانب*

(١) بإمالة واو فْلو إلى الياء .

الأموال على حكام المدن وعلى الزعماء الريفيين المحليين خاصة بعد الحروب البورجوندية التى أظهر فيها الجنود المشاة السويسريون كفاءتهم الحربية التى لم يسبق لها مثيل حتى ذلك الوقت . واستخدم الأمراء الأجانب ذهبهم لشراء حق استئجار المرتزقة داخل أراضى الاتحاد الكونفدرالى .

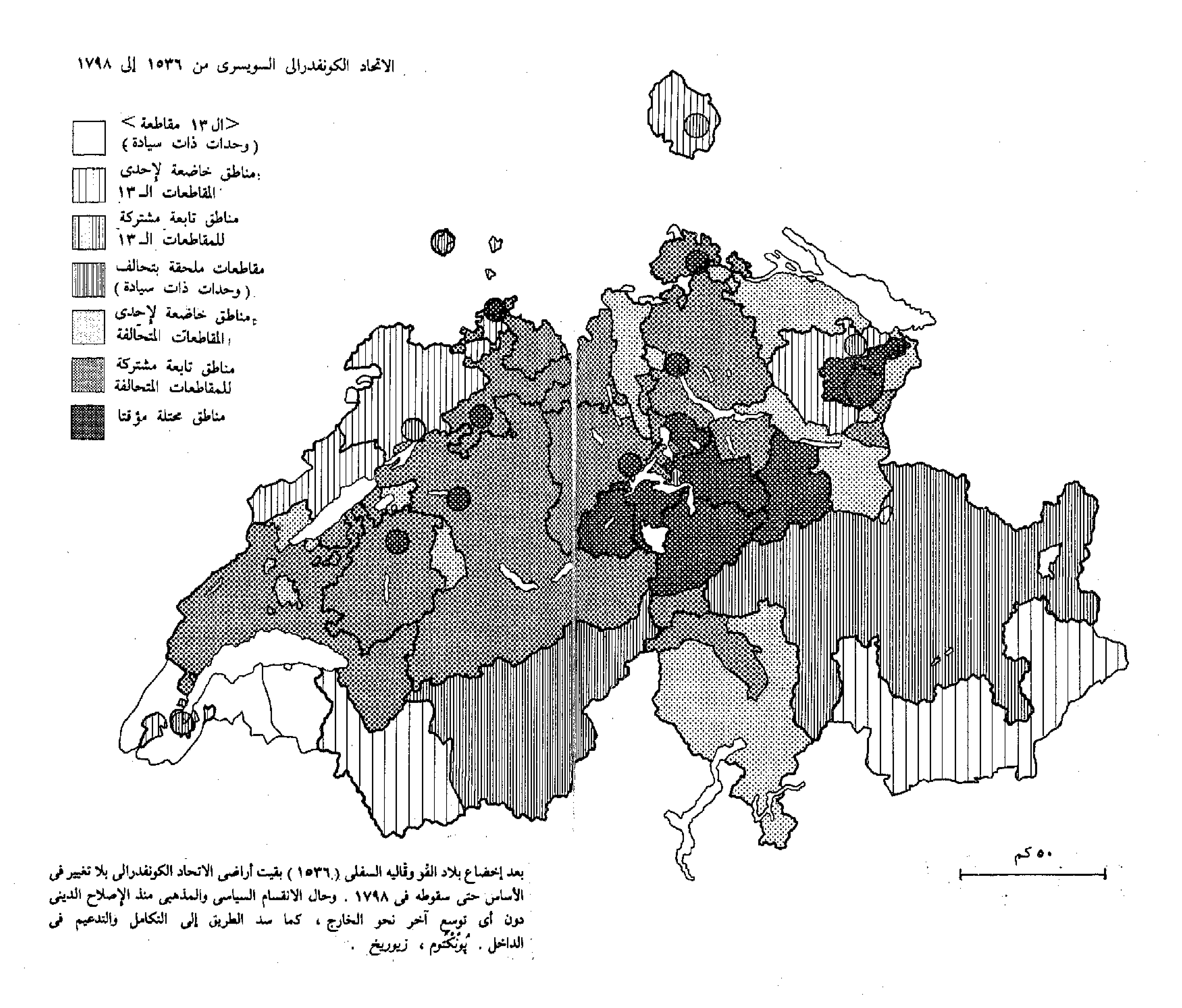
حصل مثلا عمدة زيوريخ هانْس ڤالدْمانّ من الملك الفرنسى على ٦٠٠ جُولْدِن ، ومن النمسا على ٤٠٠ جُولْدِن ، ومن ساڤوى على ٣٠٠ جُولْدِن ، ومن لوتْرِينْجِن على ١٠٠ جُولْدِن كمنح خاصة . واندلعت *الاضطرابات* مع سقوطه فى كل مكان فى أراضى الاتحاد الكونفدرالى . تلك الاضطرابات التى يرجع أصلها إلى العداء القائم بين الجنود المرتزقة وبين الذين استعملوهم من < آكلى المال > طبقًا للوصف الذى كان الجنود المرتزقة يطلقونه على رؤسائهم .

كان المرتزقة يريدون أن يكونوا احرارا عندما يرتبطون فيحاربون فى صف من يدفعون أعلى الأجور ولا يضطرون إلى بذل دمائهم للأمير الذى كانت كل ميزته هى كفاءته فى رشوة المندوب الذى جندهم . وكانوا يعتبرون بحق أن التخفيضات المتعددة التى سرت على الخدمات الحربية الخارجية إنما كانت محاولة لأن يبيعوا قوتهم الحربية الضاربة بشكل كامل لصالح السادة الذين يأخذون المنح مقابل تجنيدهم .

جاءت أشد الأزمات فى نظام الارتزاق السويسرى خلال *معارك ميلانو* عندما وجد هؤلاء الجنود أنهم يحاربون بعضهم البعض باسم حكام ميلانو أو فرنسا أو البابا . صحيح إن مناطق الاتحاد الكونفدرالى تعهدت مرة أخرى فى ١٥٠٣ برفض كل المنح المالية والرشاوى والهدايا من الأشراف الأجانب لكى يمنعوا السويسريين من أن يؤجروا أنفسهم بشكل مستقل ، وأن يُعدم كل مَنْ يغرى الرجال على الخدمة خارج البلاد بدون تصريح . لكن المصالح المادية كانت أهم من كل الموانع القانونية . ولم يوضع هذا المرسوم موضع التنفيذ مَثَله فى ذلك مثل الكثير غيره فى هذا الشأن . وفى ١٥١٣ كانت هناك قلاقل أخرى فى بِرْن ولُوتْسِيرْن وسولوتُورْن بسبب

السلوك المشين للأشراف الذين كوّنوا ثروات طائلة عن طريق بيع المرتزقة .

ثم قلّت أهمية مشاة الاتحاد الكونفدرالى مع ظهور المدفعية بالرغم من أنهم كانوا لا يزالون مطلوبين للخدمة فى الجيوش الكبيرة لأمراء أوربا . وأدت الهزيمة التى لاقوها من الملك الفرنسى إلى معاهدة سلام فى ١٥١٦ كما أدت إلى ميثاق بعد ذلك فى ١٥٢١ يعطى للملك الفرنسى الحق فى *تجنيد القوات* فى أراضى الاتحاد *الكونفدرالى . ودخل جميع الأعضاء المتحالفون فى هذا الميثاق باستثناء زيوريخ . وكان التحالف مع فرنسا هو الوحيد فى تاريخ سويسرا الذى ارتبطت به كل المناطق ابتداءً من القرن الـ ١٧ . فكان الأساس الذى أقامت عليه سويسرا علاقة عسكرية واقتصادية وثيقة مع جارتها الغربية* استمرت حتى انهيار الاتحاد الكونفدرالى القديم .



بعد إخضاع بلاد الڤو وڤاليه السفلى (١٥٣٦) بقيت أراضى الاتحاد الكونفدرالى بلا تغيير فى الأساس حتى سقوطه فى ١٧٩٨ . وحال الانقسام السياسى والمذهبى منذ الإصلاح الدينى دون أى توسع آخر نحو الخارج ، كما سد الطريق إلى التكامل والتدعيم فى الداخل . پونكتوم ، زيوريخ .

حركة الإصلاح الدينى فى سويسرا

١ حركة الإصلاح الدينى فى الاتحاد الكونفدرالى القديم

بدأ الإصلاح فى زيوريخ حيث كان *مولدريخ تسفينجلى* (١٤٨٤ - ١٥٣١) قسيسا مدنيا فى كاتدرائية جروسمونستر[1] منذ ١٥١٨ . كان رجل كنيسة مثقفًا ، كما أنه كان سياسيا نشيطا ، وربط ببراعة بين التجديد الكنسى ومتطلبات الإصلاح الاقتصادى والسياسى . كان متأثرًا بلوثر فيما يختص بالناحية الكنسية وطالب *بالعودة إلى نص الإنجيل* . ووجّه هجومه ضد تفسخ رجال الدين ، وضد تكديسهم لأموال مرتبات يحصلون عليها بلا عمل ، وضد التجارة فى صكوك الغفران . وحقق له *هجومه على تجارة الجنود المرتزقة* تأييد الاتحادات المهنية التى كانت تلك التجارة تَحْرِمها من الأيدى العاملة . وكسب تسفينجلى أهل الريف بخطبه ضد عبودية *الأرض* وطالب بالإصلاح فيما يختص بالإتاوات الإقطاعية .

كان مبدأه السياسى الأساسى ضد السيادة الدنيوية للكنيسة وامتلاكها للأراضى : < لا يوجد فى تعاليم المسيح أى أساس إطلاقا يبرر سيادة هذه السلطة الروحية المزعومة > . وهكذا نجد أن تسفينجلى استمر من الناحية العملية فى المجهودات التى بدأت قبلا منذ ٣٠ عامًا مع ڤالدمان وكلفته حياته من أجل أن يركز كل حقوق السيادة فى يد المدينة .

تبنى المجلس الكبير لزيوريخ آراءه التجديدية فى ١٥٢٥ . وحل التعليق الحر لنصوص الإنجيل محل القداس ، ورُفع الحظر عن زواج القسيس ، وأصبحت الأملاك العقارية للكنيسة مدنية . وتسلمت المدينة الأرض وحق الإيجار وضريبة العشر لـ ٨ مؤسسات كنسية داخل أسوار المدينة ولـ ١١ مؤسسة خارجها . *وأدت حركة الإصلاح إلى تقوية الطبقة البورجوازية فى المدينة بشكل كبير جدًا* . لذلك

(١) بإمالة الواو الثانية إلى الياء .



أُولْرِيخ تْسْفِنْجلِي (١٤٨٤ - ١٥٣١) المصلح الديني الزيوريخي . أصله من ڤِيلْدْهاوْس ، ودرس في بازل ، وبرن ، وڤيينا. رَسَمه أسقف كونْستانْس قسيسا ، وأصبح صاحب أبرشية في جلارُوس . تأثَّر بإرازْمُوس الذي أيقظ فيه أفكار إصلاح الكنيسة . كان في الأول قسيسا للجنود في الميدان في حملات ميلانو الإيطالية ، ثم قسيسا مدنيا في زيوريخ حيث نادي بالإصلاح الديني ، الذي كان له تأثير كبير جدا على الظروف السياسية لعهده . *دار نشر بِتّسِيجَرْ ، زيوريخ .*

قُمعت بكل وحشية حركة *إعادة التعميد*[1] التى قامت فى الريف وحاولت التخلص من الإيجارات وضريبة العشر ومن عبودية الأرض ، وأعيد الفلاحون بالقوة مرة أخرى تحت حكم المدينة .

انتشرت حركة الإصلاح بشكل حاد سريع بعد أن أُخضعت اضطرابات الفلاحين فى كثير من مدن الأقاليم الخاضعة . وتحولت *سانت جالِن كما تحول أهالى ريف جُراوْبونْدن*[2] ضد سادتهم الأساقفة . كذلك كان الأمر بالنسبة *لبازِل* ، *وبِيل* ، *ومولْهاوْزِن* [3] . وتحولت *شافهاوْزِن* ومعها اتحاداتها المهنية القوية إلى العقيدة الجديدة . وانضمت برن بكل قوتها وبعزيمة صادقة بعد بعض التردد إلى حركة الإصلاح فى ١٥٢٨ . وتضافرت فى كل مكان الدوافع الدينية والسياسية والاقتصادية . وكانت الاتحادات المهنية التى سادت المدن وانتشرت فيها هى القوة الدافعة خلف حركة التجديد . وكانت حركة الإصلاح تعنى فى كل المدن تقوية سيادة هذه المدن على الريف *وتقوية تفوق المدينة* .

ووُجدت أيضًا مدن كان للعمال الحرفيين فيها وضع ضعيف وثبتوا فيها على العقيدة الكاثوليكية وهذه المدن هى لُوتْسِرْن وتْسُوج فى وسط سويسرا ، وسولوتُورْن وفريبُورْج فى الغرب . *لكن مركز المقاومة لأصحاب العقيدة القديمة كان هو وسط سويسرا* : إذ أن هذه المناطق الريفية رأت فورا فى حركة الإصلاح التى تقوّى من شأن المدينة أنها حركة تهدد استقلالها . وبالفعل ارتبطت منذ ١٥٢٤ فى اتحاد مع لُوتسِرْن وتْسُوج < من أجل اجتثاث هذه التعاليم اللوثرية التْسْفِينْجلِيّة الهُوسِّيّة[4] المضللة والمزيفة من كل أقاليمنا وأجهزتنا العليا ومقاومتها وإنزال العقاب بها والقضاء عليها بكل قوتنا > .

وضع تسفينجلى خططًا بعيدة المدى لإصلاح *الاتحاد الكونفدرالى* بمفهوم *سكان المدينة* ، فتُستثنى المناطق الريفية من المساهمة فى إدارة المناطق الخاضعة المشتركة . ورأى أن كلا المدينتين العظيمتين زيوريخ وبرن ستلعبان دورا قياديا فى الاتحاد الكونفدرالى ، < مثل ثورين فى العربة يقومان بشد نفس النير > . وكان

(١) حركة إعادة التعميد هى حركة طائفة بروتستانتية ظهرت فى سويسرا حوالى عام ١٥٢٢ أصرّت على إعادة تعميد البالغين ، ورفضت تعميد الأطفال . (٢) بإمالة الواو الثانية إلى الياء . (٣) بإمالة الواو الأولى إلى الياء . (٤) نسبة إلى جون هُوس المصلح الدينى .



لُودْ ڤِيج بْفِيفَّر فون أَلْتِيشْهوفِن (١٥٢٤ ـ ١٥٩٤) . كان فارسا ، رئيسا للبلدية ، قائدا للجند وأحد أشهر السياسيين فى حركة الإصلاح الكاثوليكية . كما كان كولونيلا فى الجيش الفرنسى . لُقِّب بـ < ملك سويسرا > لغناه وسلطته . وهذه صورة زيتية له رسمها فنان مجهول . رولْف شْتيلى ، ڤِينْتَرْتُورْ .

تعيين أحد المشرفين المعروف بعدائه للإصلاح فى الأقاليم الخاضعة المشتركة لآرجاو هو الشرارة المواتية لأن تشن مدن *الإصلاح الدينى الحرب على مناطق الريف الكاثوليكية* . لكن لم ينجح الهجُومان اللذان قام بهما البروتستانت وانتهت الحرب فى ١٥٣١ فى صالح الكاثوليك . واستشهد تسڤينجلى نفسه فى هذه الحرب . وعقدت معاهدة سلام ثانية فى كابِّل فى ١٥٣١ أنهت المشاكل المذهبية فى المناطق التابعة المشتركة لصالح المناطق الكاثوليكية . وأُعطى للأقلية الكاثوليكية ثقلا سياسيا زائدا فى مواجهة الأغلبية البروتستانتية فى الاتحاد الكونفدرالى لما يكاد يقرب من مائتى عام .

٢ حركة الإصلاح فى سويسرا الغربية

بدأت حركة الإصلاح الدينى انتصاراتها فى مدن الاتحاد الكونفدرالى بعد ضرب الأشراف بفترة طويلة ولم يتبق إلا تسلم حقوق سلطة الكنيسة ولكن الوضع كان مختلفًا فى المناطق المتكلمة بالفرنسية أمام أبواب فريبُورْج وبِرْن . *واتخذت حركة الإصلاح الدينى هنا شكل المعركة السياسية الموجهة* فى نفس الوقت ضد حقوق النبالة للأشراف وضد سلطة الكنيسة .

كان أشراف ساڤوى يملكون فى الڤو أراض شاسعة تطمع فيها منذ زمن بعيد كل من فريبورج وبرن اللتين ارتبطتا منذ ١٥٢٦ مع مدينة جنيف الأسقفية . كانت جنيف تحاول أن تحصل على حريتها من حاكم المدينة ، وبذلك دخلت فى صراع مع ساڤوى . وسانَدَت برن بعد حركة الإصلاح فيها الوعاظ الإنجيليين بشكل منتظم فى الڤو ونيو شاتِل وجنيف التى دعت فى نفس الوقت مع حركة الإصلاح الدينى إلى تأييد المصالح السياسية لمدينة برن الواقعة على نهر الآر . وعلى العكس ساندت فريبورج العقيدة القديمة .

وبشكل متزايد تحوّل التعارض بين المذهبين إلى تعارض بين المدينتين

المتنافستين . وقررت جنيف التى وجدت نفسها فى وضع غير مريح بين مدينتين متصارعتين داخل الاتحاد الكونفدرالى آن تنضم فى النهاية إلى الأقوى . واستطاعت جنيف بمساعدة برن أن تحرر نفسها من حاكمها ، وانتصرت حركة *الإصلاح بها* .
وفى سنة ١٥٣٦ *استقر چان كالڤين* (١٥٠٩ - ١٥٦٤) فى جنيف . وضمت برن فى نفس السنة الجزء الأكبر من أقاليم ساڤوى فى الڤو ، وكان على فريبورج أن تكتفى بفضلة صغيرة ، لكنها على أى حال وسّعت من رقعتها بشكل كبير .
انشق الاتحاد الكونفدرالى بسبب حركة *الإصلاح الدينى إلى معسكرين مذهبيين* : معسكر اتحاد المناطق الكاثوليكية ومعسكر بورجوازية المدن البروتستانتية . شمل معسكر الإصلاح الدينى حوالى ثلثى السكان وأهم المراكز الاقتصادية . وفى ١٥٦٦ اتفقت المدن التسفنجلية والكالڤينية على عقيدة إنجيلية مشتركة < كونفِسيو هِلْفِسْيا پوسْتِرْيور > . *وأدى العداء المذهبى ضد الأقاليم الكاثوليكية المتاخمة على الحدود للرايخ الألمانى إلى ابتعاد الاتحاد الكونفدرالى عن الرايخ وانفصاله عنه تدريجيًا* وهو الأمر الذى تحقق رسميًا فى عام ١٦٤٨ بعد حرب الثلاثين سنة . أما فى الداخل فإن حدة الانقسام زادت بين المعسكرين المذهبيين .
واستمرت المناطق الكاثوليكية فى وسط سويسرا فى المحافظة على شخصيتها الدينية والسياسية بمساندة *أسبانيا* التى كانت قوة عالمية فى ذلك الوقت ، لكن هذه المناطق كانت تعانى من مُركّب نقص فى مواجهة المدن ، لذلك حافظوا بغيرة شديدة على حقوقهم وامتيازاتهم القديمة . وعملوا على أن تكون لهم فى المناطق التابعة المشتركة ممرات كاثوليكية ضيقة حتى يتمكنوا من الاتصال بشركائهم فى الدين خارج البلاد . وكثيرًا ما كانت التوترات تظهر بالنسبة للإدارة المختلطة لهذه المناطق الخاضعة المشتركة والتى كان يديرها مشرفون من كلا المذهبين . لكن فى النهاية فإنها كانت *المصلحة العامة لأعضاء الاتحاد الكونفدرالى فى المحافظة على هذه المناطق الخاضعة هى التى منعت البلاد من أن تتمزق بسبب الخلافات الدينية* .

٣ النتائج الاقتصادية للإصلاح الدينى

لم يترك الإصلاح الدينى آثاره العميقة على المجال الدينى والسياسى فحسب ، وإنما أيضًا على *التطور الاقتصادى* للبلاد . كان هناك عدد كبير من التجار الميسّرين وأصحاب مصانع النسيج سابقًا من بين الذين هربوا بعقيدتهم الدينية من فرنسا ، وإيطاليا ، وهولندا ملتجئين إلى مناطق الإصلاح الدينى فى الاتحاد الكونفدرالى .

وأعطت تجاربهم واتصالاتهم التجارية فى مدن الإصلاح الدينى وفى مناطقها الخاضعة دفعات قوية للتطور الصناعى بها . ويرجع الفضل إلى هؤلاء اللاجئين فى تطور *صناعة الصوف والحرير* ، *وفن صياغة المجوهرات* ، *وصناعة الساعات* ، *وأيضًا فى تطور التجارة الخارجية بها* ، *والبنوك* . كانت سانت جالِن فى بداية القرن ١٦ الوحيدة آلتى كانت بها صناعة نسيج قديمة مزدهرة . أما فى زيوريخ ، وبازِل ، وجنيف فإن الفضل يرجع بشكل كبير إلى اللاجئين فى إحياء التجارة والحرف ومع ذلك فإن هؤلاء التجار لم يلقوا دائمًا الترحيب الكافى حتى فى هذه المدن . إذ أنهم كثيرًا ما دخلوا فى منافسة حادة مع الاتحادات المهنية عندما أقاموا تجارتهم ، واضطروا فى أحيان كثيرة إلى الانتقال إلى الريف . وكانت جنيف هى المدينة الوحيدة التى استطاعوا أن ينموا فيها دون عائق حيث لم تظهر هناك أية اتحادات مهنية تحت حكم ساڤوى الطويل .

لم يلبث تصنيع الصوف والكتان والحرير أن تعدى نطاق المدينة . وكانت اليد العاملة الجديدة متوفرة فى الريف بشكل كافٍ . وكان على فقراء الفلاحين أن يبحثوا عن دخل إضافى بجانب الزراعة الصغيرة التى لم تكن كافية لأن تقوم بأودهم . *وابتدأ العمل الريفى فى بيوت الفلاحين* ينتشر . فكان سكان الريف يحصلون على الخامات من تجار المدينة ، ثم كان عليهم أن يردوها بعد تصنيعها . فمثلا قام الأخوان *دافيد* (١٥٤٨ - ١٦١٢) *وهاينريخ* (١٥٥٤ - ١٦٢٧) *ڤِرْدمولِر*[1] وهما من زيوريخ بتشغيل ١٠٠٠ غزّالة وغزّال فى الريف وحصلوا من وراء ذلك على ثروة طائلة .

انتشر هذا النظام لتشغيل الفلاحين أولا وقبل كل شىء فى *المناطق الخاضعة للمدن البروتستانتية وفى المناطق الريفية المختلطة فى العقيدة المذهبية : أبِنْتسِل* وجلارُوس . على العكس بقيت الأقاليم الكاثوليكية إلى حد بعيد ثابتة على الاقتصاد الزراعى . وسادت تربية *الماشية* فى مناطق سفوح الألب ومناطق الألب نفسها ، بينما سادت *زراعة الأرض* فى المناطق المنخفضة من وسط البلاد . كانت برن هى الاستثناء الكبير . فبالرغم من الإجراءات النشيطة التى اتُّخذت لتطوير صناعة النسيج فإن المناطق الريفية فى المقاطعة بقيت زراعية كما بقيت إدارة مأموريات التنفيذ ووظائف الدولة هى مصدر الدخل الرئيسى لساكنيها من النبلاء .

---

(١) بإمالة الواو إلى الياء .

١ النبلاء يغلقون الأبواب على أنفسهم

تجمدت الحياة السياسية فى الثمانى مدن والخمس مقاطعات للاتحاد الكونفدرالى القديم بعد الأحداث الحيوية لعهد الإصلاح . *أصبحت السلطة تقتصر على دائرة من العائلات تزداد صغرًا باستمرار* . وحاول المسئولون فى مقاطعات اللانْدْسْجمايْندى < وهى المقاطعات التى يمارس فيها مجموع السكان السلطة عن طريق وحدة محلية واحدة > أن يحدّوا من حقوقها ، لكن بالرغم من أنهم لم ينجحوا فى إلغاء المجلس الشعبى بها ، إلا أن مركز عائلات النبلاء كان متفوقًا على ما عداه . حققت هذه العائلات أحيانًا ثروات طائلة *بتأجير المرتزقة وامتلاك الأرض والتجارة والصناعة* الأمر الذى يشهد عليه قصر شْتوكَالْپر فى بْريج < مقاطعة ڤاليه > أو قصر فْرويْلَر فى نافِلْس[١] < مقاطعة جْلارُوس > . ولم يُسمح فى المناطق الريفية بقبول مستجدين يكون لهم امتياز حق الأرض كما لم يُسمح للأجانب بحق الانتفاع بالأرض . *وظهرت طبقة عريضة من صغار الفلاحين الذين لا حقوق لهم < الهيْنتِرْزاسين >* ، الذين كان عليهم أن يرضوا غالبًا بالأرض الضعيفة الإنتاج ، وكانوا يُحتبرون أدنى طبقة فى مجتمع الفلاحين ، يكسبون معاشهم كعمال زراعيين أو عمال باليومية .

كانت عملية الرجوع إلى الأرستقراطية أوضح فى المدن مما كانت عليه فى الريف . *وأخذت دائرة الذين يساهمون فى الحكومة تضيق بشكل سريع* فى برن وفريبورج ولوتسرن حيث كان للأشراف دائمًا مركز قوى فى مواجهة الاتحادات المهنية للعمال اليدويين . كان هذا العهد عهد مؤامرات وصراع بين العائلات المتنافسة . وتمزّق سكان المدينة إلى *أعضاء للعائلات الحاكمة* ، وإلى سكان مقيمين لهم بعض الحقوق فى الاتحادات المهنية وإلى < *الهيْنتَرْزاسِن* > والذين لم تكن لهم

(١) بإمالة الألف إلى الياء .

أية حقوق سياسية إطلاقًا . كانت *الأغلبية العظمى* من سكان المدينة *مبعدة عن الحياة السياسية* . كان لابد من عضوية المجلس الكبير للحصول على مكان فى إدارة الـ ٥٢ قسمًا التابعين لبرن . وكانت مقاعد المجلس الكبير تُمنح مدى الحياة لعائلات النبلاء . ومع مرور الوقت نقص عدد العائلات القادرة على الحكم فى برن إلى ٦٨ عائلة ، وفى فريبورج إلى ٧١ وفى لوتسرن إلى ٢٩ فقط . فى الحقيقة فإن هذه المدن كانت تُحكم بواسطة دائرة من العائلات أصغر من ذلك بكثير .

كذلك أخذت مدن *الاتحادات المهنية* زيوريخ وبازل وشافهاوزن تزيد من غلق الأبواب على نفسها بالرغم من أنه لم يوجد بها هذه الطبقة من النبلاء مثل التى وُجدت فى برن أو المدن الكاثوليكية . لذلك لم يعد يُقبل مواطنون جدد يكون لهم حقوق المدينة ، إذ أن أمور الحكم كانت بكاملها فى أيدى رؤساء الاتحادات المهنية .

كانت المدن تؤكد باستمرار *سلطتها العليا* بالنسبة للريف . واختفت نهائيًا فى القرن ١٧ الاستفتاءات الشعبية التى كانت لا تزال شائعة فى زمن الإصلاح . وجُرِّدت القرى وحتى المدن الصغيرة فى المناطق الريفية تدريجيًا من استقلالها . وتحول شعب الريف إلى < رعايا السادة المبجلين > . واحتفظ سكان المدينة بوظائف رعاة الكنائس فى الريف حتى يمكنهم أن يذكّروا أهل الريف دائمًا من فوق المنابر بوجوب الخضوع لإرادة الله فى أن يتسيدهم أهل المدينة .

٢ حرب الفلاحين عام ١٦٥٣

تكرر استياء أهل الريف من المزايا التى تدعيها المدينة لنفسها منذ زمن الحروب البورجوندية والإصلاح الدينى وكانوا ينفّسون عنه فى شكل اضطرابات . كما زاد تحول السلطة العليا فى المدينة إلى الأرستقراطية من حدة هذه التوترات الكامنة .

لم تصب حرب الثلاثين سنة (١٦١٨ - ١٦٤٨) الاتحاد الكونفدرالى بضرر باستثناء جْراوْ بونْدِن[1] ، وفُرضت ضرائب جديدة خلال هذه الحرب من أجل تحصين

(١) تنطق بإمالة الواو الثانية إلى الياء .



شحاذ وعاجز أعرج . حفر من القرن ١٧ . دار النشر التعليمية لمقاطعة زيوريخ .

نيكولاوس لوينبِرْجر (١٦١٥ - ١٦٥٣) . وُلد فى شونهولْس (بإمالة الواو الأولى إلى الألف) من وحلة رودِرْشْفِيل المحلية (تنطق رودرسفيل بإمالة الواو إلى الياء) . انتخبه الفلاحون فى سُوميسْفالْد فى ١٦٥٣ ليقود عصبة من الفلاحين من برن ولوتسرن وسولوتُورن وبازل . كان فلاحا بسيطا من الإمْنتال لا يكتب إلا بصعوبة . تميّز بذكائه وفهمه وبموهبته الخطابية . انتهت حياته بعد سجن طويل وتعذيب تحت بلطة جلاد برن . وهذه صورة معاصرة بالألوان المائية الأكْوارِل لرسام غير معروف . متحف الفن فى بازِلْ ، قسم الحفر على النحاس .

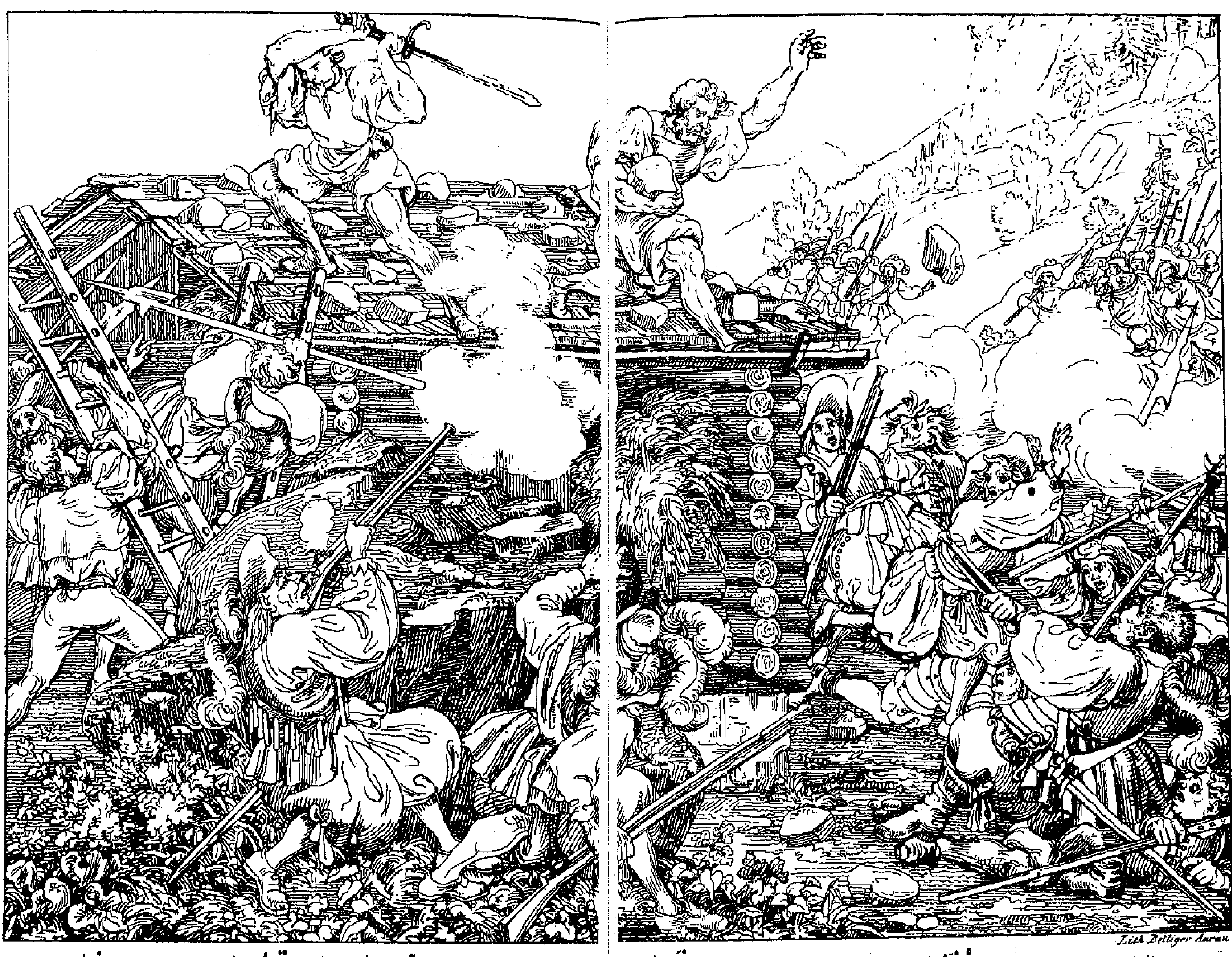
الحدود ، كما فُرض نظام الاحتكار على تجارة الغلال والملح ، ومُنعت بضائع الرفاهية وأدّت الأعباء الجديدة حتى أثناء الحرب (١٦٤٥) إلى تمرد فى ريف زيوريخ وفى *سويسرا الشرقية* الذى أُعدم بعد إخماده سبعة من زعمائه . ولكن لم يمكن فرض ضريبة جديدة فى إقليم برن بسبب مقاطعة ٧٠ وحدة محلية لها .

جاء الانفجار الكبير بعد الحرب . عندما خفَّضت برن ولوتسرن عملتهما ثم حددتا مهلة قصيرة للغاية لاستبدال العملة الجديدة بالقديمة حتى أن المهلة انتهت قبل أن يعلم أهالى الريف بأمرها . ونشب اضطراب عظيم فى الأقاليم التابعة للوتسرن وبرن لم يلبث أن انتشر أيضًا فى مقاطعتى سولوتُورْن وبازِل . ولم تبق إلا سويسرا الشرقية هادئة فى وسط البلاد بعد التجارب المريرة التى مرت بها فى السنوات السابقة .

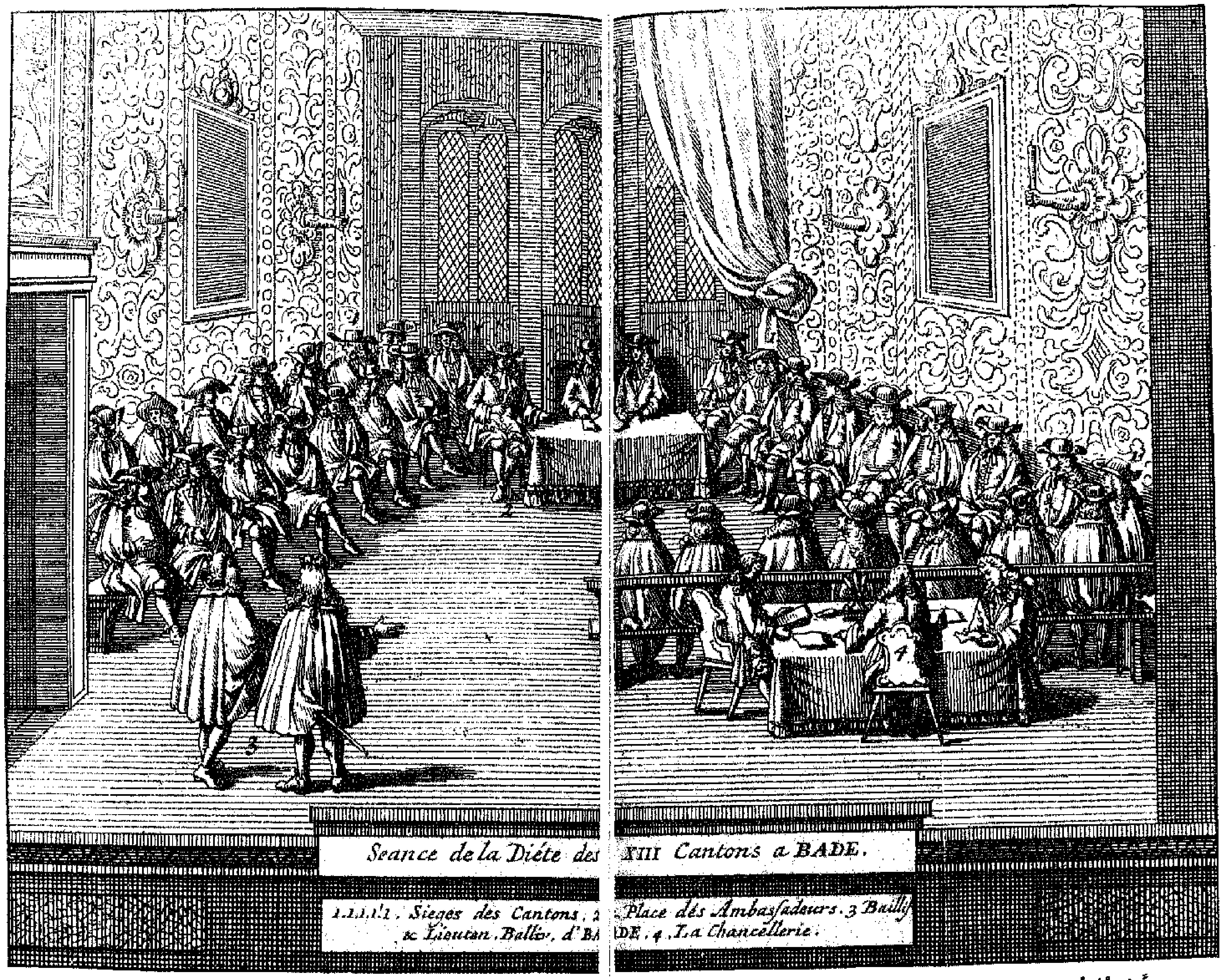
كانت الحركة تحت قيادة الفلاحين الأغنياء أمثال : *هانْس إمّْنيجّر (مات فى* ١٦٥٣) من إنتِلْبُوخ فى مقاطعة لوتسرن ، *ونيكْلاوْس لوينْبِرْجَر* (١٦١١ - ١٦٥٣) - من إمْنْتال فى مقاطعة بِرْن . ولم يكن الأمر يتعلق فى حرب الفلاحين بالدرجة الأولى بالاحتياجات الاقتصادية لصغار الفلاحين ، وإنما كان يتعلق أساسًا *بالمحافظة على الحقوق القديمة والحريات* التى استأثرت بها الأرستقراطية الريفية منذ زمن بعيد .

وبالرغم من التحذير الشديد اللهجة الذى أصدره التاجْزاتْسُونْج (المجلس التشريعى) بأن التجمع وإثارة الاضطرابات سوف يقع تحت طائلة < العقاب الجسدى أو الموت > تجمع الفلاحون المتمردون من لُوتسرن وبرن وسولوتُورْن وبازِل فى هُوتْفِيل (١٦٥٣) وأقسموا *على تجديد عهد الاتحاد الكونفدرالى القديم* . وأقاموا اتحادا للفلاحين مقابل اتحاد السادة وفسَّروا أسطورة فِيلْهِلْم تَل القديمة عن الحرية بطريقتهم الخاصة .

التجأ سادة المدينة إلى فرق من الجنود ليسهل عليهم قمع ثورة الفلاحين . وعوقب أهل الريف بوحشية بالغة . وأصدرت المحكمة العسكرية للتاجْزاتْسونج أحكامًا بالإعدام ، والنفى ، والبتر وكذلك بالغرامات الشديدة ، وسحب الحقوق والمزايا القديمة . وانتهت بذلك أهم ثورة للفلاحين فى تاريخ الاتحاد



حرب الفلاحين ، ١٦٥٣ . < أونْتِرْنارَر (بإمالة الألف الثانية إلى الياء) وهِينْترولِي (بإمالة الواو إلى الياء) ، آخر الأحرار من إنْتْلِيبُوخ > . عن تقويم دِيسْتِلِي ١٨٤٠ . سويسرا ،المكتبة القومية ، بِرْن .



التَّاجْزاتْسُونْج وهو المجلس التشريعي لبادِن ، ١٦٥٣ . حفر على النّحاس حوالى ١٧٣٠ . المكتبة المركزية فى زيوريخ ، مجموعة الحفر .

الكونفدرالى *بالانتصار الكامل لأصحاب السلطة* .

انتهزت الأرستقراطية الحاكمة فى زيوريخ وبرن الفرصة للبدء فى *إصلاح الاتحاد الكونفدرالى* . وكُلِّف عمدة زيوريخ يوهان *هاينْرِيخ ڤازَر* (١٦٠٠ - ١٦٦٩) بوضع مسودة ميثاق جديد للاتحاد . لكن شيئا من خططه لم يتحقق . وكما حدث فى ١٥٣١ قاومت أرستقراطية المناطق الريفية بضراوة أى انتقاص من سيادتها لصالح المدن . لذلك ما أن مرت ثلاث سنوات على القمع المشترك الذى قامت به أرستقراطية المدن والريف لثورة الفلاحين حتى وقفت أرستقراطية المدن والريف ضد بعضهما البعض والسلاح فى أيديهما .

جاء الصدام بينهما فى المناطق التابعة المشتركة فى آرْجاو . وترك البرنيون فى *ڤيلمِرْجن* أكثر من ٥٠٠ قتيل فى ساحة المعركة . وتأكدت لخمسين سنة أخرى فى السلام العام الثالث (١٦٥٦) الامتيازات التى تتمتع بها المناطق الكاثوليكية .

٣ المذهبية والحياد

كشف التوتر الكامن بين الكاثوليك والبروتستانت عن نفسه أولا وقبل كل شيء فى المناطق التابعة المشتركة . فكانت تنشب فى منطقة المصدّ هذه كل بضع سنوات معارك صغيرة أو كبيرة حيث أن المناطق الكاثوليكية منذ ١٥٣١ كان لها اليد العليا فى إدارة هذه المناطق . وكان من الممكن أن يستغرق الأمر من ١٠ سنوات إلى ١٦ سنة لأن يُعين مدير بروتستانتى مكان الكاثوليكى . ودائما ما كان البروتستانت يشعرون بأنهم مضطهدون من الكاثوليك أصحاب السلطة وبالعكس كان شعور الكاثوليك بأنهم مضطهدون من البروتستانت .

كانت الأغلبية للكاثوليك فى التاجْزاتْسُونْج أو المجلس التشريعى الذى كان عليه أن يعالج النزاعات المذهبية . وغالبا ما كانت مدن بَازِل وشافْهاوُزِن (البروتستانتيتان)

وفريبُورج وسولوتُورن (الكاثوليكيتان) تقوم بالوساطة فى المنازعات حيث أنها لم تكن تشترك فى إدارة الأقاليم التابعة المشتركة .

كذلك كانت *الدبلوماسية الأجنبية* تتدخل أحيانا عندما كان الصراع المذهبى يهدد بإثارة مشاكل وتعقيدات خطيرة . فالدول الأوربية كان يهمها أن يسود الهدوء فى الاتحاد الكونفدرالى خوفا من انقطاع موردها من المرتزقة .

لا شك ساهم نظام الارتزاق بشكل كبير بجانب الاختلاف المذهبى على تحييد سويسرا فى الصراعات الأوربية فى القرنيين ١٧ و١٨ . فمنذ ١٦١٤ كانت كل المناطق بما فيها زيوريخ مرتبطة باتفاق مع فرنسا لتوريد المرتزقة . وفى نفس الوقت كانت المناطق الكاثوليكية ملتزمة بتوريد المرتزقة إلى *أسبانيا وساڤوى* ، بينما كانت المناطق البروتستانية ملتزمة بتوريدهم إلى *الإمارات الألمانية والهولندية* . وكانت هذه الدول تحارب بعضها البعض باستمرار . وكان من النتائج الغريبة لسياسة الحياد السويسرية أن تَقَابَل خلال حرب الوارثة الأسبانية فى معركة مالْپلاكِت (١٧٠٩) المرتزقة السويسريون المنضمون إلى الجانب الفرنسى مع الذين يقفون منهم مع الجانب الهولندى . فكل مَنْ كان لديه الذهب الكافى كان يستطيع أن يشترى جنودا فى الاتحاد الكونفدرالى . وكان المثل يقول : < بدون المال لا تحصل على سويسرى > .

بدأ الاتحاد الكونفدرالى منذ حرب الثلاثين سنة فى العمل على تحقيق سياسة الحياد فى النزاعات الأوروبية وأُبرمت فى ١٦٤٧ أول اتفاقية للدفاع المشترك باسم *« دفاع ڤِيل »* . وعندما ضم الملك الفرنسى الإمارة الأسبانية الحرة الواقعة غربى برن ليصبح بذلك جارًا مباشرا يهدد سويسرا ، أعلن المجلس التشريعى « التاجْزاتْسُونْج » الحياد المنسلح لأول مرة رسميا . *ومنذ بداية القرن ١٨ اعْتُرِف أيضا بحياد الاتحاد الكونفدرالى من الدول* الكبرى كأمر واقع ، عندما لم تعد تُدعى كدولة لأن توقع على اتفاقيات السلام الأوربية .

كان الارتباط مع *فرنسا* هو الذى يمثل مركز الثقل الرئيسى للعلاقات السياسية

الخارجية فى القرنين ١٧ و ١٨ . بالإضافة إلى أنه إذا لم تكن أحيانا كل المناطق السويسرية مرتبطة مع فرنسا باتفاقيات إلا أن الذهب الفرنسى كان له سلطانه القوى على سياسات الاتحاد الكونفدرالى حتى أنه بدا فى *العهد الزاهر من حكم لويس الرابع عشر وكأنه محمية فرنسية* .

كان من النتائج غير المباشرة للصراع الأوربى الكبير الذى قام بسبب المنافسة على مَنْ يرث العرش الأسبانى ، أن تزعزع تفوق البلاد الكاثوليكية . ثم قامت فى سنة ١٧١٢ *معركة ثانية فى ڤيلْمِرْجِن* انتهت لصالح المدن . واستثنى اتفاق السلام العام الرابع (١٧١٢) الأراضى الكاثوليكية من إدارة إقليم بادِن الذى كان بمثابة متراس يسد الطريق بين زيوريخ وبرن . ومنذ ذلك الوقت أصبحت المنازعات الدينية تُسوّى بواسطة لجنة يكون لكل مذهب تمثيل متساوٍ فيها بدلا من الأغلبية الكاثوليكية . وأدّى هذا إلى أن يخف *التوتر القائم على الأقاليم العامة المشتركة بشكل ملحوظ* ، وإن لم يؤدِّ بعد إلى تصالح فعلى بين معسكرى المذهبين .

الثورة الهِلْفِسْتية

١ النهضة الصناعية فى القرن ١٨

لم يُنهِ انتصار المناطق البروتستانتية فى ١٧١٢ فترة الـ ٢٠٠ سنة من المعارك الدينية فحسب ، ولكنه غيَّر *أيضا من موازين القوى فى الاتحاد الكونفدرالى القديم لصالح المدن التى كانت تتحقق فيها نهضة صناعية مزدهرة* . حقًا لم تتغير العلاقات السياسية حتى سنة ١٧٩٨ إلا قليلاً واستمرت الروح الطبقية الرجعية للأرستقراطية تسود الميدان كما كان الأمر قبلاً . وحدثت تغيرات عميقة فى المجالين الاجتماعى والاقتصادى . وكشف انتشار المذهب العقلى بالنسبة للشئون الاقتصادية إلى حدوث *تحوّل عام فى العقلية* .

قامت الجمعيات الزراعية التى تعتبر أن الأرض هى مصدر الثروة كلها بالدفاع عن *قضية التقدم الزراعى* . كان شعارها أن : < لا شىء يخدم الوطن والصالح العام أكثر من التجديد المنطقى السليم للاقتصاد الزراعى > . وحاولت أن تحسِّن من استخدام الأرض وأساليب الزراعة باصدار نشرات للتوعية الزراعية ، ومنح المكافآت . واشتهر مزارع من زيوريخ اسمه كُلاَيْنيوجّ أدار عزبته على أساس المبادىء الحديثة وتوصّل بذلك إلى تحقيق ثروة كبيرة .

وقليلا قليلا تغلغَلت فكرة الاقتصاد *التجارى* فى الريف ووُزعت أرض المراعى التى كانت أرضًا عامة فيما مضى بين الفلاحين الأغنياء . ثم كان التحول إلى تغذية الماشية داخل الحظائر ، الأمر الذى سمح بتسميد الحقول وباستخدام أفضل للأرض التى كانت تترك موسمًا كاملاً رغبة فى إراحتها قبل زراعتها ثانية . واتسعت زراعة البطاطس والبرسيم ، وسقط تدريجيًا نظام المناوبة الزراعية الثلاثية وكان ذلك كله بسبب الزيادة التى حدثت فى تعداد السكان والذى أدًى إلى مجاعات دورية .

زاد *تعداد السكان* خاصة فى الريف من ١,٢ مليون (عام ١٧٠٠) إلى ١,٦ مليون (عام ١٨٠٠) كان من الممكن للخدمة العسكرية الأجنبية أن تستوعب من ٥٠٠٠٠ إلى ٨٠٠٠٠ رجل ، ولكن جاذبية العمل كجنود مرتزقة قلّت خلال القرن

١٨ . كذلك أدى التوسع الكبير فى تربية الماشية ، وتوريع أراضى المراعى إلى كثافة فائضة للسكان فى الريف . وأصبح فقراء الفلاحين وعمال اليومية الذين لا يملكون أى أرض يعتمدون الآن أكثر مما سبق على القيام بأعمال إضافية .

استفادت *الصناعات المنزلية الريفية* من هذه الزيادة السكانية . وازدهرت صناعات غزل القطن ونسجه ، وطبع القماش (الخام) ، وصناعة الشرائط الحريرية ونسج الأقمشة الحريرية ، والتطريز وبخاصة فى الأجزاء الشمالية والشرقية من البلاد ، بينما تراجعت صناعات النسيج القديمة التى كانت تقوم بتصنيع الكتان والصوف . ونمت صناعة الساعات حول جنيف فى نيوشاتل والچورا والتى كانت تتم إلى حد بعيد على أساس نظام العمل المنزلى فى الريف . فكان مئات الآلاف من سكان الريف يحصلون على دخلهم الرئيسى أو الثانوى من العمل المنزلى . *وعرفت سويسرا فى القرن ١٨ مرحلة هامة جدًا من مراحل التصنيع جعلت منها حتى قيام الثورة الهلڤيتية أكثر البلاد تصنيعًا فى قارة أوربا* .

وبالرغم من أن الفقر لم يختفِ مع انتشار العمل المنزلى فى الريف ، إلا أن تصنيع النسيج كان يعنى بالنسبة للكثيرين مصدرًا لا يمكن الاستغناء عنه ، وحقق فى وقت طيب *بعض الرخاء فى الريف* . كان اكتساب المال بواسطة الغزل والنسيج أسهل من اكتسابه عن طريق فلاحة الأرض . وأصبح العمل الزراعى بالنسبة للكثير من عمال المنازل عملاً جانبيًا . لكنهم من الناحية الأخرى أصبحوا معرَّضين أكثر من غيرهم لتغيرات الأسعار فى المواد الغذائية . فى ١٧٢٣ كان على عمال صناعة النسيج المنزلية أن يعملوا فى المتوسط من ١ ـ ٣ أيام لكى يكسبوا ما يساوى ٥ أرطال من الخبز ، بينما أصبح عليهم فى ١٧٦٢ ألا يعملوا إلا نصف يوم فقط ، ثم احتاج الأمر فى سنة المجاعة ١٧٧١ إلى ما يقرب من أسبوع ، وفى سنة ١٧٨٠ يوما واحدا فقط .

٢ بشائر العصر الحديث

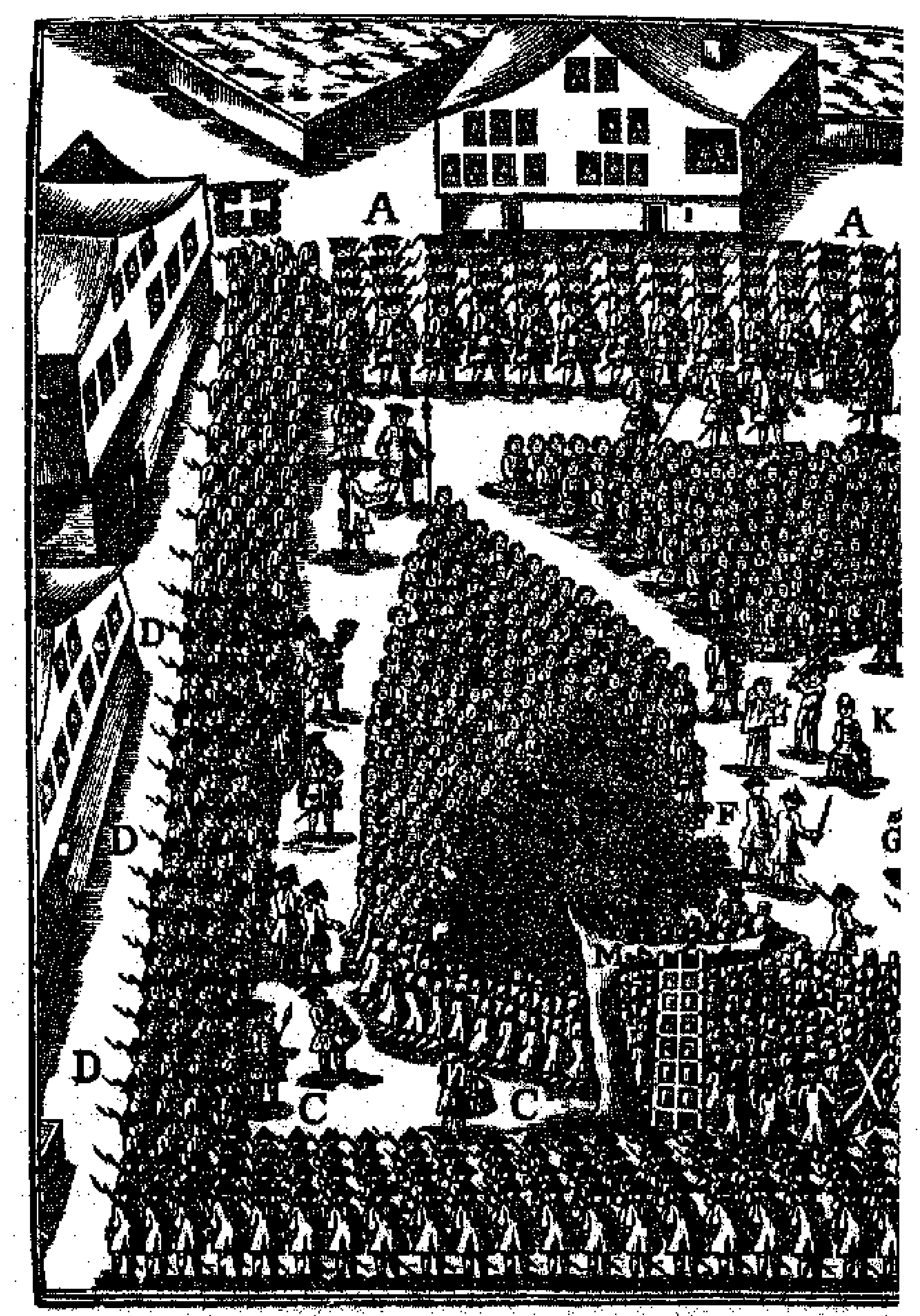
أعلن العصر الحديث عن نفسه بواسطة أفكار جديدة . وبدأت العقيدة الكالڤينية الصارمة تفقد قوتها بالرغم من تعزيزها مرة أخرى فى ١٦٧٥ فى « الفورْمُولا

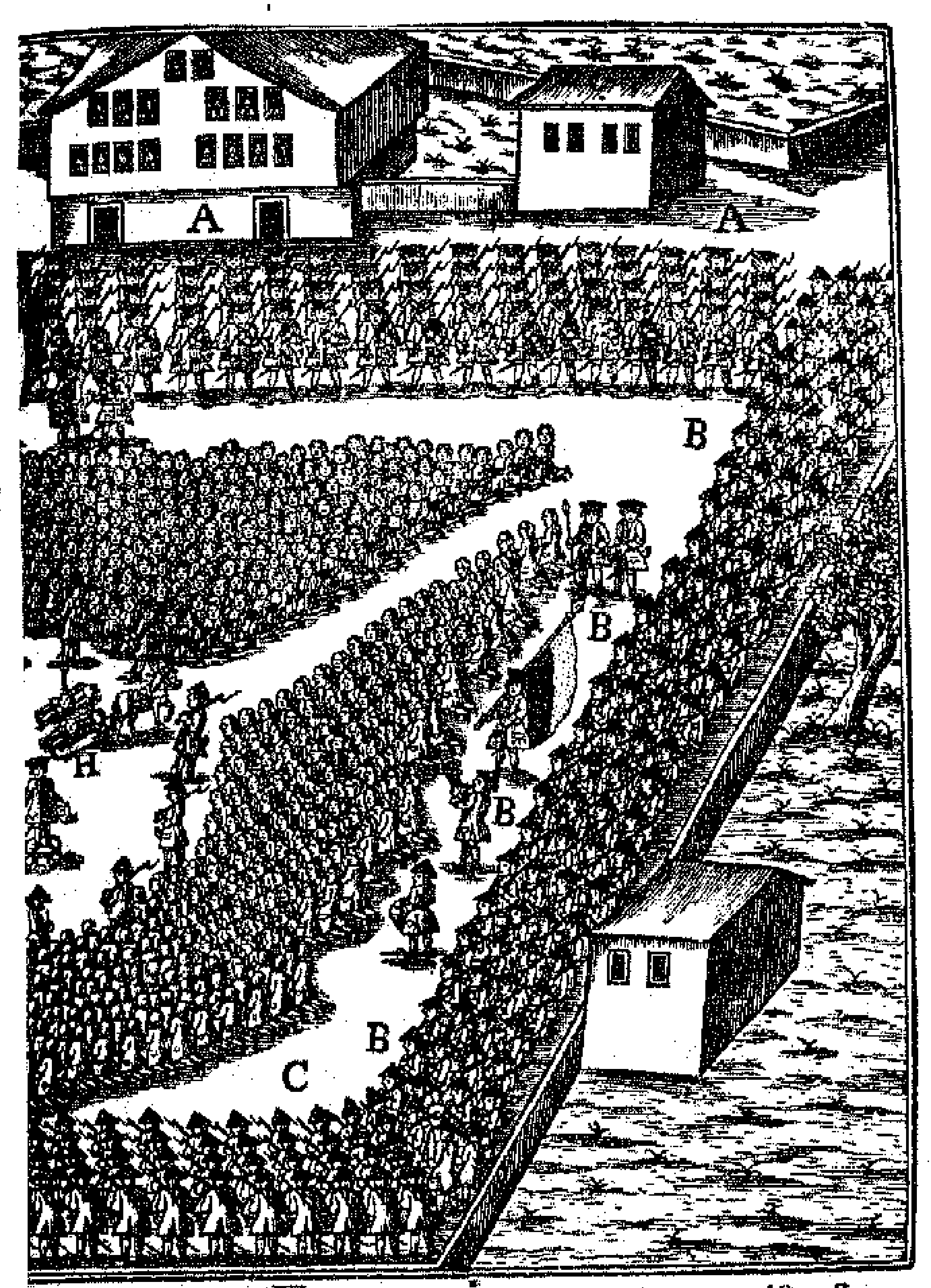
كونْسِنْسُوس » ، وبدأت تظهر تيارات دينية تحررية فى المدن الكاثوليكية التى يحكمها الأشراف . وساهم علماء الطبيعة من أمثال *يوهان بِرْنُولِّى* (١٦٦٧ - ١٧٤٨) ، *وليونهارْد أويْلَر* (١٧٠٧ - ١٧٨٣) ، *وألْبِرِخت فون هالَّر* (١٧٠٨ - ١٧٧٧) بأبحاث قيمة فى علوم عصر التنوير . ونالت التجارب التربوية *لهانْرِيخ بِسْتالوتْسِى* (١٧٤٦ - ١٨٢٧) وكتاباته شهرة كبيرة عبر حدود سويسرا . ونما شعور وطنى جديد كرد فعل للمَلَكيات المطلقة التى تحيط بها . وتأسست فى ١٧٦١ *الجمعية الهلفستية* كما تأسست مجموعات وطنية وتنويرية أخرى جمعت بين حبها لأرض الوطن وتعضيدها لكل ما يخدم الصالح العام .

لكن الأمر لم يبق مجرد أفكار مثالية وحسب . فخلال القرن ١٨ كانت تشتعل كل حين وآخر *الانتفاضات الشعبية* ، *والمعارك الدستورية* ، *والمكائد ضد حكم الأشراف* . وبمرور الوقت أخذ يقل استعداد الرعايا الخاضعين لقبول الحرمان من الحقوق السياسية وتحمّل الضرائب الثقيلة والتأخر الاقتصادى بالمقارنة بما تتمتع به المناطق الرئيسية . وزاد إصرار ذلك الجزء من سكان المدن الذى كان محرومًا من الاشتراك فى حكومة البلدية على تصحيح هذا الوضع المجحف وعاشت جنيف فى ١٧٠٤ - ١٧٠٧ أولى معارك الدستور ، وفى ١٨٣٧ نجح التمرد ضد الأشراف ، وفى ١٧٨٢ حصل جزء كبير من مواطنى المدينة الذين كانوا محرومين حتى ذلك الوقت من الحقوق السياسية على حق الاشتراك فى الحياة السياسية للمدينة . وعلى العكس تحطمت فى برن سنة ١٧٤٩ محاولة للتمرد ضد النبلاء وأُعدم زعيم هذا التمرد *صامويل هِنْتسِى* (١٧٠١ - ١٧٤٩) وعدد من الضالعين معه .

وبالفعل قام الرعايا القاطنون حول بحيرة زيوريخ وتحت تأثير الثورة الفرنسية بتحرير « *مذكرة شْتافا* »[1] (١٧٩٤) التى طالبت بالمساواة بين سكان المدينة وسكان الريف ، وبحرية التجارة والصناعة ، وإلغاء ما تبقى من أعباء الإقطاع ، وفتح الباب للدراسة ، ولمنصب الضباط . وعوقب زعماء هذه الحركة أيضا بكل قسوة . وتشبث النبلاء بامتيازاتهم التقليدية وحاولوا الاحتفاظ بنظامهم الذى عفا عليه الزمن ، وأصبح يمثل مفارقة تاريخية .

(١) بإمالة ألف شْتافا الأولى إلى الياء .





Eigentlicher Entwurff der A° 1755. den 2ten Brad jun. gehaltenen Execution mit denen wider den
Hochlobl. Stand Ury rebellische Unterthanen in dem Thal Lev entina oder Livenen, drey von den Häubteren der Rebellen wurden
decapitiert, so geschehen zu Faido auf dem Platz, wo das Land-Volck pflegte ihre Lands-Gemeinden zuhalten.

A Die Völcker von Lucern. B Die Völcker von Ury. C Die Völcker von Underwalden ob dem Kern-Wald. D Die Völcker von Underwalden Nit dem Kern-Wald, samt den 3. Land-
vogteyen Bellenz, Bolenz und Reviera, welche von dem an der so genannten Knebel Brugg stehenden Corpo der 300. Welschen Völckern ausgezogen, und allhero destiniert worden. F Herr
Lands-Haubtmann Schmid von Ury. G Orth, allwo Herr Landschreiber Scolar von Ury gestanden, als er denen Unterthanen die beschwornen Eyds-Formaliteten, und hernacher den Proces
und Sentenz der Delinquenten abgelesen. H Decapitierter Lands-Haubtmann Urss. I Der capitierter Pannerherr Fuenty. K Procurator Sartori. L Grosse Menge Land-Volck des Thals
Leventina, oder Livenen, welches mit entdeckten Häubteren, auf den Knyen den Eyd der Treu und Gehorsame schweren, und hernacher dieser Execution zu sehen müssen. M Nußbaum,
worauf die Præparatoria gemacht waren die Delinquenten aufzuhencken.

تنفيذ حكم الإعدام في زعماء تمرد وادي اللِفنتينا في فايدو في ٢ يونيو ١٧٥٥ . فكان على < فقراء الريف المساكين البؤساء > أن يقسموا يمين الولاء والطاعة للأوريين ثم يعاينوا حاسري الرؤوس راكعين على ركبهم إعدام ثلاثة من أكثر زعمائهم إجلالا . ثم أُرسل عدد من المتمردين إلى ألتدورف لإعدامهم هناك . وسُحبت الحريات التي كان يتمتع بها أهالي وادي لِفنتينا سابقًا . منشور معاصر . دار نشر بِتشيجر ، زيوريخ .

٣ سقوط الاتحاد الكونفدرالى القديم

بقى الاتحاد الكونفدرالى محايدًا خلال حرب الائتلاف الأول للدول الأوربية ضد فرنسا الثائرة ولكن ما أن وضع نابليون بونابرت يده على شمال إيطاليا حتى زاد الضغط العسكرى على الاتحاد الكونفدرالى ، إذ كانت ممرات سويسرا هى الارتباط المباشر بين باريس وميلانو ولها أهميتها الاستراتيجية للجيش الثورى الفرنسى . احتلت فرنسا أولا ممتلكات أسقفية بازِل فى الچُورا فى ديسمبر سنة ١٧٩٧ وأدَّى هذا بالمجلس الكبير لمدينة بازِل أن يسرع بمنح رعاياه *الحرية والمساواة أمام القانون* . وكان *بيتَر أوخْس* (١٧٥٢ - ١٨٢١) رئيس الاتحادات المهنية أحد المدافعين الأشداء عن الإصلاح الديمقراطى ، وهو الذى أعلن < إننا نريد أن نسبق العاصفة . وأن نصبح ثوريين بمحض إرادتنا . ولنجعل العالم يرى مرة كيف تتحول إحدى الأرستقراطيات من تلقاء نفسها إلى الديمقراطية > .

وكان *فْريدِريك سيزار لاهارْب* (١٧٥٤ - ١٨٣٨) فى *القُو* مناضلاً عنيفًا أيضا للثورة . *وتحررت برن كما نودى بجمهورية ليمان* حتى قبل دخول القوات الثورية الفرنسية التى دخلت لوزان بعد ذلك فى ٢٨ يناير ١٧٩٨ .

لم يستطع المجلس التشريعى (التاجْزاتْسُونْج) أن يتخذ قرارا بخصوص دخول القوات الفرنسية وأعلن رعايا ڤاليه السفلى ووديان جنوب الألب تحررهم من سادتهم . وقررت زيوريخ وشافْهاوْزن المساواة فى الحقوق بالنسبة للرعايا . واستُقبلت القوات الفرنسية فى آرجاو وغيرها استقبال المحرِّرين من حكم الأشراف . *وتحلل الحكم القديم تماما* . ووقفت برن وحدها ضد الجيش الفرنسى وانهزمت فى معركة *جْراوْهولْتس* ودخل المنتصرون المدينة فى ٥ مارس ١٧٩٨ . حقا استمرت المقاومة فى أقاليم الألب الداخلية لبعض الوقت ، *ولكن سقوط الاتحاد الكونفدرالى القديم كان أمرا مقررا منذ سقوط برن* .

وانتصرت الثورة الهلڤستية التى كان يرنو إليها الكثيرون ، لكنها كانت مطبوعة

بطابع *الحكم الأجنبى* . وأقر نابليون فى الحال مسودة الدستور التى وضعها بيتر أوخس مع بعض التعديلات الطفيفة كأساس للدولة . وبالفعل حوّل هذا الدستور ذلك الاتحاد الممزق للاتحاد الكونفدرالى القديم إلى *الدولة الواحدة التى لا تتجزأ* للجمهورية الهلفستية ، وأكدت مادته الأولى : < أنه لم يعد هناك حدود بين المقاطعات والأراضى الخاضعة أو بين مقاطعة وأخرى > . وكانت السلطة العليا هو الشعب كله . وقامت إدارة من خمسة أعضاء على رأس الدولة كما كان الأمر فى فرنسا .

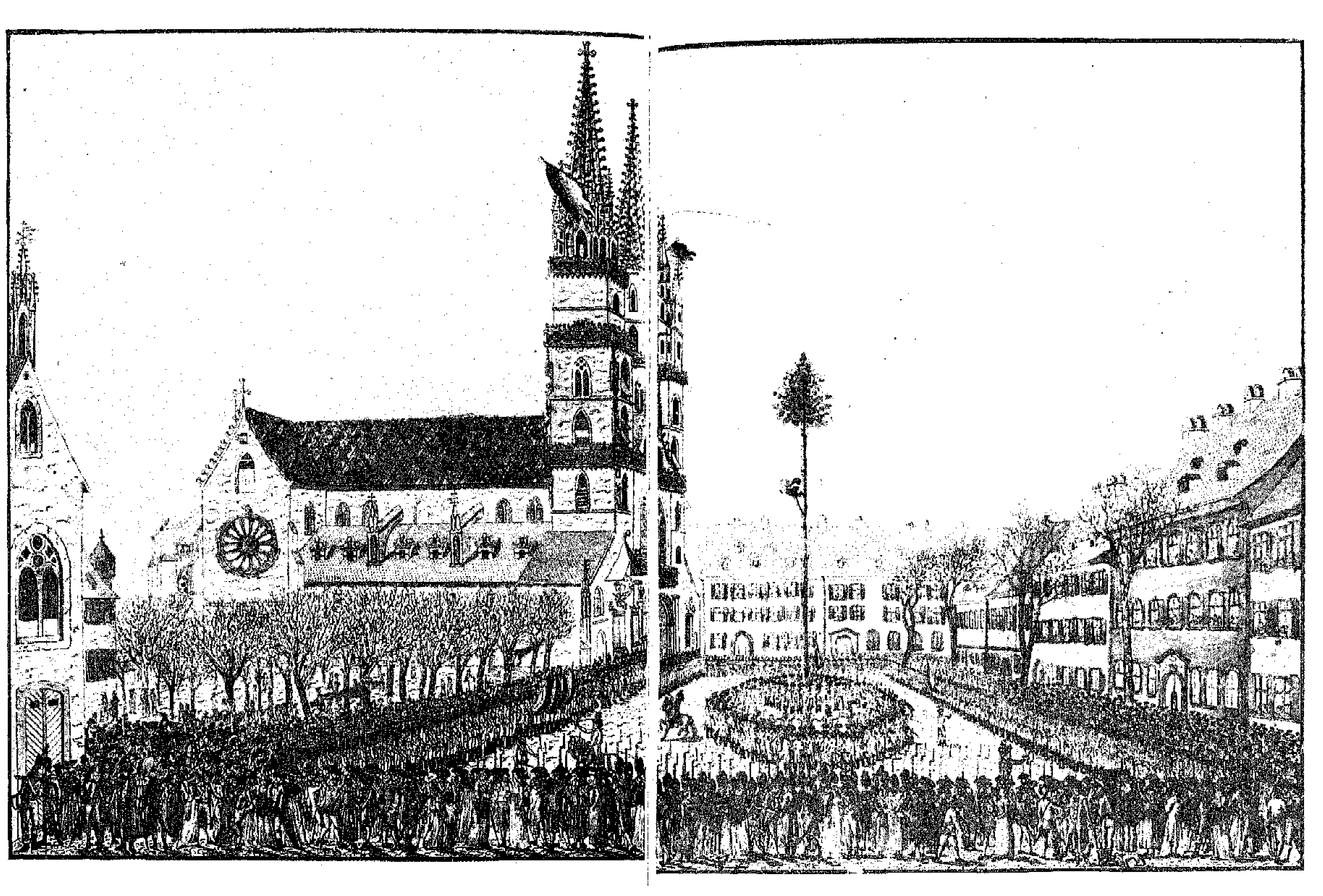
ولم يكن من المستغرب أبدًا أن القوى القديمة لم تستطع أن تكيّف نفسها مع مثل هذا التغير الجذرى فى النظام السياسى .

٤ الطريق الطويل إلى الدولة الاتحادية الجديدة

كان الطريق إلى الدولة الاتحادية لسنة ١٨٤٨ طويلا ومصحوبًا بكثير من النكسات . وبدأت فى سويسرا فى سنة ١٧٩٨ *أزمة سياسية استمرت ٥٠ سنة* التجأت فيها القوى المحافظة والقوى التقدمية أكثر من مرة إلى القوة المسلحة فى محاولة لحل خلافاتها .

وبسرعة تحولت الجمهورية الهلفستية إلى مسرح للمعارك الداخلية بين *الوحدويين* الذين كانوا يقفون فى صف الدولة الموحدة ، وبين *الائتلافيين* الذين كانوا يريدون الرجوع إلى سلطة المقاطعات . وكانت السلطة تنتقل من جانب إلى آخر . وقامت فيما بين ١٨٠٠ و ١٨٠٢ ما لا يقل عن خمسة انقلابات . وما أن انسحبت قوات نابليون حتى نشبت الحرب الأهلية فورًا .

أسرع نابليون بإعادة احتلال سويسرا وتوسط فى الأمر وأصدر فى ١٨٠٣ *دستورًا جديدًا* عُرف باسم *الوساطة* . وبقى هذا الدستور ساريًا لمدة ١٠ سنوات ، وهدأت الظروف السياسية قليلا خلال هذه المدة . واستعادت المقاطعات حقوقها . وانضمت إلى الـ ١٣ مقاطعة القديمة ست مقاطعات جديدة . وكذلك الأقاليم الخاضعة سابقا : *آرجاو* ، *تورجاو* ، *التسيين* ، *الفو* والمناطق الملحقة : *سانت جالن* ،



إقامة شجرة للحرية فى بازل ١٧٩٨ .

حفر لِفريدْريش كايْزر . المتحف التاريخى ، بازل .

وجراوْبونْدِن . ورجع الوضع فى مقاطعات اللانْدْسْجِمايْنْدى بشكل أو آخر إلى ما كانت عليه الحال قبل الثورة ، بينما ساد أنصار الجمهورية الهلفْستية فى المقاطعات الجديدة ، وكانت لهم اليد العليا فيها . وهكذا عاشت سويسرا القديمة والجديدة بجانب بعضهما البعض . وطالما كان نابليون فى السلطة فإن الوحدويين والائتلافيين كانا يُمسكان بكفتى الميزان . فالوفاق الذى تم فى عصر الوساطة انعكس أيضا على اسم الدولة . ففى ١٨١٥ أصبحت الجمهورية الهلفْستية تُسمى < *الاتحاد الكونفدرالى السويسرى* > وهو الاسم الرسمى الذى ما زالت تحمله إلى الآن .

أنهت هزيمة نابليون أيضا الوضع السياسى الثنائى للاتحاد الكونفدرالى وأعاد *مؤتمر ڤيينا فى ١٨١٥ الاتحاد القديم* المحايد باعتباره *اتحادا بين دول ذات سيادة* . واستعاد الأرستقراطيون امتيازاتهم ، ورجعت كل مقاطعة لأن يكون لها صوت واحد فقط فى المجلس التشريعى (التاجْزاتْسونج) وسقط حق الناس فى الاستقرار والسكن حيثما شاءوا ، كما سقط حقهم فى مزاولة مهنة بدون أن يكونوا تابعين لاتحادها . وأضيفت ثلاث مقاطعات جديدة إلى سويسرا وهي *جنيف* ، *ڤاليه* ، *ونُيوشاتِل* . وحصلت برن من الدبلوماسيين فى ڤيينا على *الچورا* كتعويض عن المناطق الخاضعة التى فقدتها فى الآرْجاو والڤو . وبدا الأمر ولمدة ١٥ سنة أن عجلة التاريخ كانت تدور للخلف .

جاءت معارك الشوارع فى *ثورة يوليو ١٨٣٠* فى باريس وكانت سببًا فى حدوث تغيرات جديدة فى سويسرا . فى تلك السنة بدأت أيضا التيارات التحررية تظهر مرة أخرى بقوة فى سويسرا وبدأت فترة< *البعث* > وأسقط الشعبُ الأرستقراطيين فى عدد كبير من المقاطعات بواسطة العرائض والاجتماعات الشعبية . وصدرت دساتير جديدة أصبحت سارية المفعول تضمن *الانتخاب الشعبى أو الانتخاب التمثيلى لحكومات المقاطعات كما تضمن حقوق المواطنين* . وأدت المطالبة الشعبية بإحياء البعث إلى حرب أهلية بين المدينة والريف وإلي الانفصال فى اثنين من أنصاف المقاطعات (١٨٣٣) . كذلك لم يخْلُ التجديد التحرزى بعد ١٨٣٠ من النكسات . وفشلت محاولة لتجديد اتفاقية الاتحاد لسنة ١٨١٥ ، كما أن انقلابات القوى المحافظة استطاعت أن تطرد المتطرفين من الحكومة فى زيوريخ ولوتسرن .

ولكن لم يكن من الممكن مع كل ذلك وقف حركة التحرر .



كاريكاتير عن واعظ چزويتى لِمارْتين دِيسْتِلى (١٨٠٢ - ١٨٤٤) . كان دِيسْتِلى جنديًا من الأحرار المتطرفين ، ورسامًا موهوبًا ، حُظرٌ تقويمه المصور فى كثير من المقاطعات . متحف *الفن والتاريخ* ، جنيف .

انتصار حركة التحرر وقيام دولة الاتحاد

١ الانتصار السياسى لأنصار التحرر

كثيرًا ما تأتى التغيرات التاريخية الكبرى عن طريق العنف ، وليست الدولة *الفدرالية السويسرية* لسنة ١٨٤٨ استثناء فى ذلك .

فمنذ ثورة باريس فى يوليو ١٨٣٠ ، اهتز الاتحاد الكونفدرالى بسبب الصراعات السياسية والعسكرية المتتابعة من أجل السلطة فى المقاطعات . *وأخذت المعارضة الشعبية تزداد باستمرار ضد الحكم المطلق للعائلات الأرستقراطية وامتيازات الكنيسة ، وانتخاب البرلمانات التى تسن وتشرع القوانين ، وحرية الرأى وتحديد سلطة الكنائس* . وفى نفس الوقت أراد المجددون المتطرفون أن يغيِّروا هذا الاتحاد المفكك لدول الاتحاد الكونفدرالى إلى *دولة قومية حديثة مركزية* .

وتضافرت الحجج السياسية مع الاقتصادية والتجأ بعض *الثوريين المتطرفين* من أمثال *يوهان أُولْرِيخ أوكْسِنْبايْن* (١٨١١ - ١٨٩٠) فى برْن أو جِيمْس فازِى (١٧٩٤ - ١٨٧٨) فى جنيف إلى السلاح باسم الحرية والديموقراطية ، ولكن كان هناك فى نفس الوقت أحرار معتدلون من أمثال *أَلْفرِد إِشَر* (١٨١٩ - ١٨٨٢) فى زيوريخ كان همهم الأكبر أن يوحدوا نظام المقاييس والعملة والجمارك الممزق شر تمزيق . فالبورجوازية كان يهمها التوسع التجارى والصناعى وأرادت أن *تصبح سويسرا وحدة قومية واحدة من الناحية الاقتصادية* .

كانت اتفاقية الوحدة لسنة ١٨١٥ والتى كانت سارية تضمن أساسًا وقبل كل شىء امتيازات العائلات الحاكمة وكانت عائقًا كبيرًا للتطور الاجتماعى والاقتصادى ودافعت المقاطعات بشراسة عن النظام القديم . وكانت هذه المقاطعات هى المقاطعات الكاثوليكية فى وسط سويسرا التى قامت بدعوة الجِزْوِيت إلى لوتسرن ووحدت قواتها معهم فى حلف دفاعى عسكرى عُرف باسم الزونْدِرْبُونْد ، ولم يحجموا حتى عن

التحالف مع بعض القوى الأجنبية على أمل الاحتفاظ بالنظام الموجود . وغضب المتطرفون غضبًا شديدًا وتحركوا بإصرار أكبر ضد المحافظين الكاثوليك .

اشتدت حدة الصراع فى عام ١٨٤٥ الذى كانت خلفيته *أزمة اقتصا*. صعبة تسببت فى آخر *المجاعات* التى حدثت فى سويسرا . فخلال سنتين أصابت إحدى الآفات زراعات البطاطس فى كل أوربا وأتلفت ما يصل إلى ثلثى المحصول . وأدّى الغلاء العام الذى أعقب بوار المحاصيل إلى أزمة صعبة فى تصنيع النسيج فى الريف . وزاد عدد الفقراء الذين كانوا يعتمدون على إعانات من الوحدات المحلية التى يتبعونها إلى ٢٠٪ من السكان فى منطقة أوبَرْلانْد العالية التصنيع والواقعة حول زيوريخ .

فى ١٨٤٧ كان للأحرار والمتطرفين ١٢ صوتًا بالإضافة إلى صوتين من أنصاف الأصوات من مجموع الـ٢٢ صوتًا التى للمقاطعات فى المجلس التشريعى < *التاجزاتسونج* > وهو الهيئة التشريعية العليا للاتحاد ، مع أنهم كانوا يمثلون ٨٠٪ من السكان بل ونسبة أعلى من قوة البلاد الاقتصادية . وقاد الجنرال جيوم - هنرى دوفُور[1] (١٧٨٧ - ١٨٧٥) قوة من ١٠٠ ٠٠٠ رجل ضد المعاندين المؤيدين *للزونْدِرْبُونْد واحتلت القوات الاتحادية لوتسرن* بعد معركة قصيرة . بعد ذلك استسلمت آخر المقاطعات وهى ڤاليه فى ٢٩ نوفمبر ١٨٤٧ .

هكذا انتصر التحرر نهائيًا بشكل حاسم .

ضمن الدستور الجديد للاتحاد عددًا كبيرًا من حقوق المواطنين مثل حرية السكن والإقامة ، وحرية النوادى ، والمساواة أمام القانون . كذلك احترم هذا الدستور مصالح المهزومين بأن نص بوضوح على المحافظة على سيادة المقاطعات . ويمكن أن نضرب مثلا على ذلك بالانتخابات التى تجرى على أساس *نظام الغرفتين* فى الهيئة البرلمانية ، وكانت الغرفة الثانية تضمن لمقاطعات الريف الكاثوليكية الصغيرة *نفوذًا أكبر من أهميتها الفعلية* . وأُزيلَت العوائق الرئيسية التى كانت تقف عقبة فى طريق النمو الاقتصادى : ففقدت المقاطعات حقها فى فرض الجمارك ،

(١) بإمالة الواو الأولى إلى الياء .



معركة جيسليكون فى ٢٣ نوفمبر ١٨٤٧ . القوات الزيوريخية تهاجم موضعًا للزوندربوند . دار نشر اد . شوتيلى ، زيوريخ .

ووُحِّدت المقاييس والموازين والعملة .

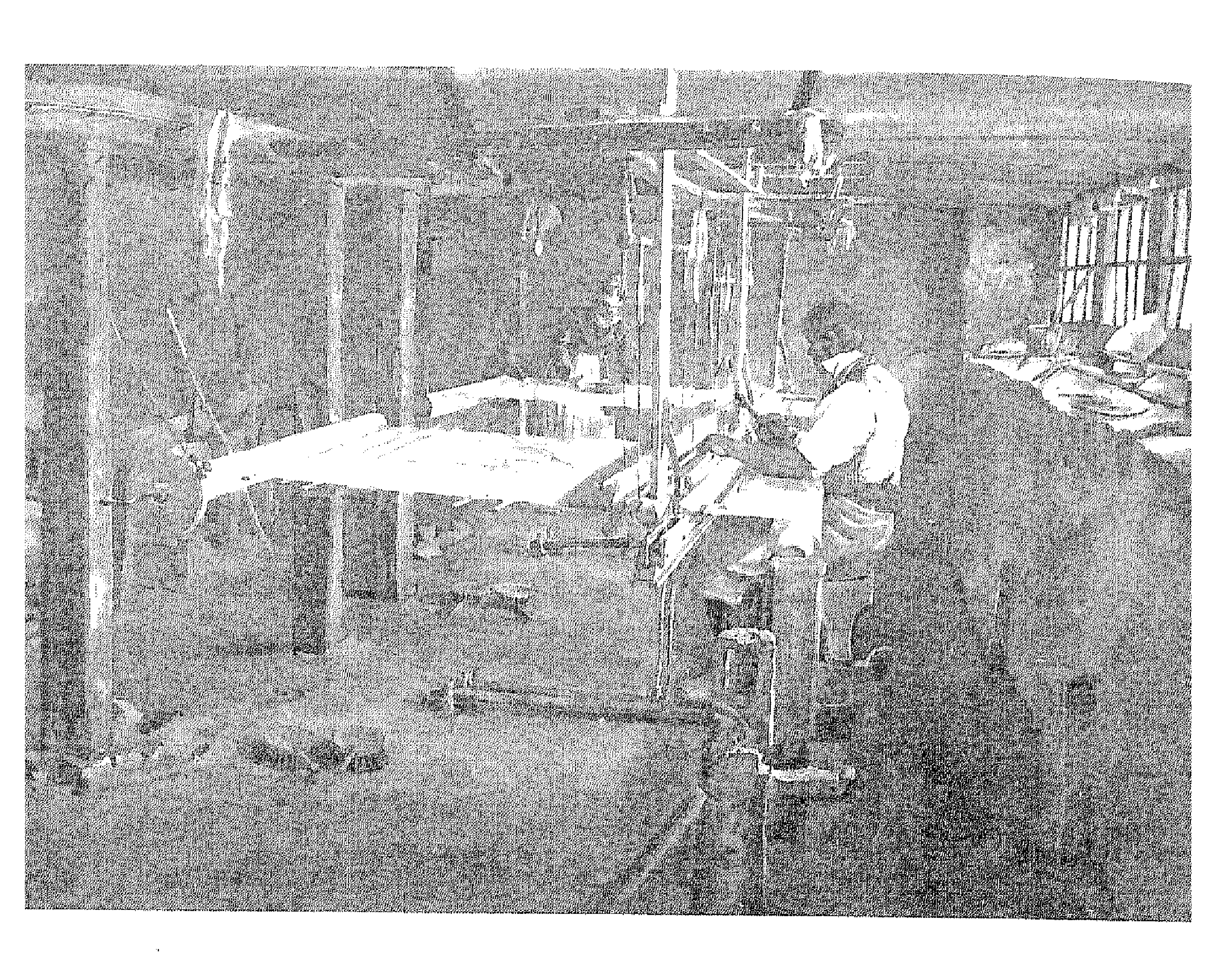
حظى الأحرار المنتصرون (المتحررون فكريًا) بالأغلبية البرلمانية على مدى عدة عشرات من السنين . وحتى سنة ١٨٩١ كانت الحكومة التى يتكون مجلسها الاتحادى من سبعة أعضاء تخرج كلية من صفوفهم .

وصل الأحرار نهائيًا إلى السلطة مع قيام الدولة الاتحادية لسنة ١٨٤٨ بعد ١٨ سنة من الصراع العنيف . ولم يعد هناك مَنْ يعارض تقدمهم السياسى بشكل جدى ، سواء كانت هى المعارضة الكاثوليكية المحافظة التى أزاحها الأحرار إلى هامش الحياة السياسية ، أو كانوا هم النبلاء القدماء . وانفتح الطريق لمزيد من التوسع فى التطور الرأسمالى الذى بدأ فى النصف الأول من القرن .

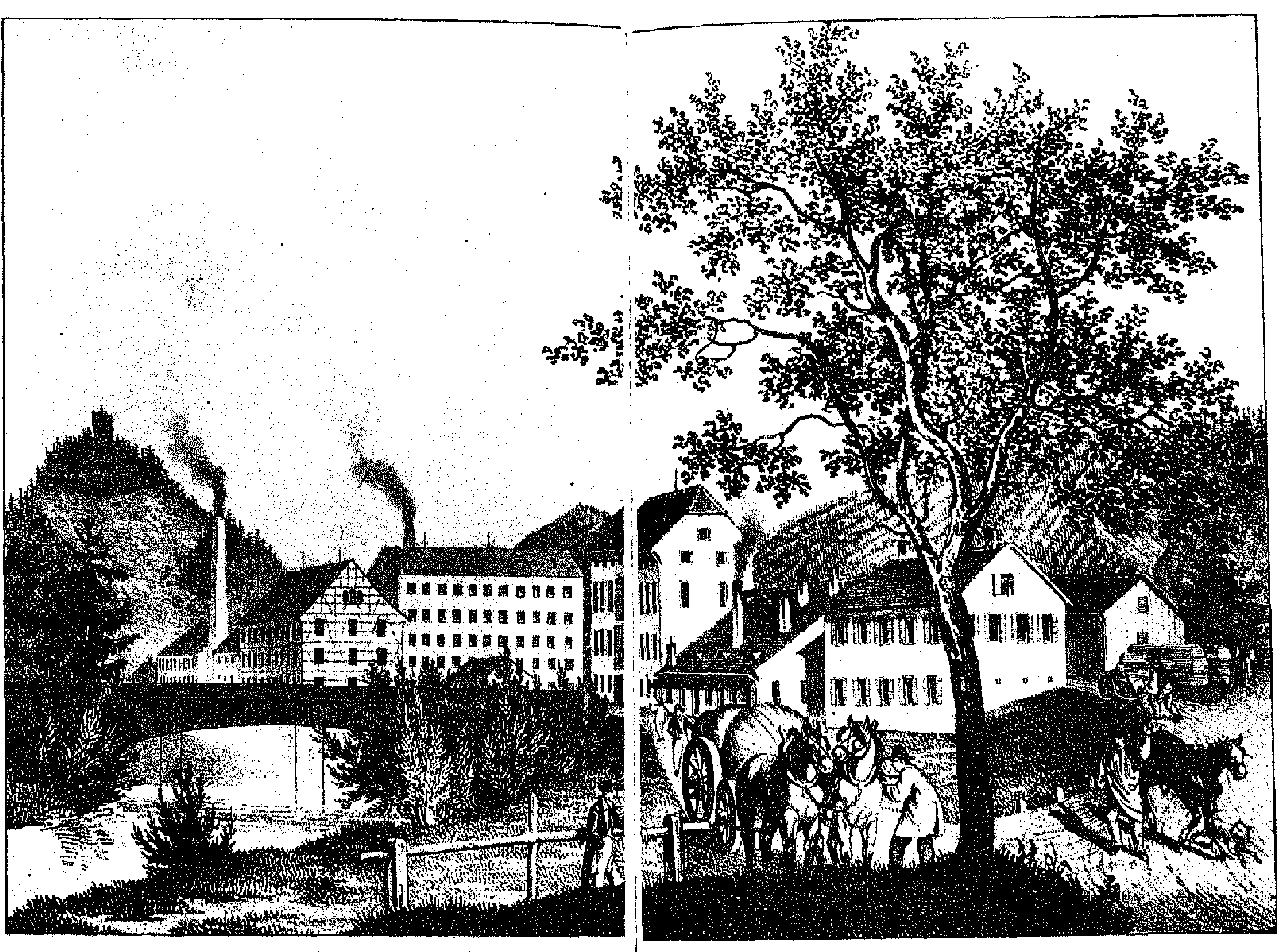
٢ الأسس الاقتصادية للتحررية

كتب مراقب إنجليزى فى سنة ١٨٣٦ فى تقرير له إلى برلمان لندن ، أنه لا توجد فى القارة الأوربية صناعة أصبح وأقوى من تلك التى فى سويسرا . *وبالفعل اعْتُبِر الاتحاد الكونفدرالى السويسرى فى حوالى منتصف القرن أقوى الدول الصناعية فى القارة الأوربية* .

لكن على نقيض الأمر فى إنجلترا لم توجد فى سويسرا بروليتاريا متمركزة فى المدن ، والتى كانت تضم دائمًا لصفوفها أعدادًا جديدة من الفلاحين المطرودين من أراضيهم . *إن الصناعة السويسرية كانت صناعة منزلية بخلفية ريفية ، تعتمد على تلك الأجزاء من سكان الريف الذين لم يكن دخلهم يكفيهم من عملهم الأصلى* . وكانت المصانع تقام على طول الأنهار فى الريف لتوفير الطاقة حتى فى المناطق التى أصبح الانتاج فيها آليًا منذ بداية القرن ، وغالبًا ما كان العمال يعيشون منفرطين فى القرى المجاورة . إن < العامل الحامل لحقيبة سفره على ظهره > والذى يأخذ طريقه الطويل الى المصنع على قدميه بعد أن أنهى عمله فى زريبة الماشية كان هو



قبو النسّاج فى ريف أبنتسيل حوالى ١٨٤٠ . حفر على النحاس من صورة لـ ج. شِيسُ . جمعية الدراسات الاقتصادية التاريخية ، زيوريخ .



مغزل قطن شركة رِيتَر فى نِيدَرْتوسّ (بإمالة الواو إلى الألف)، بمقاطعة زيوريخ حوالى عام ١٨٤٥، ولم يلبث أن أصبح جزءا من مصنع آلى قام فيها بعد بإنتاج آلات النسيج.

دار النشر السويسرية، زيوريخ.

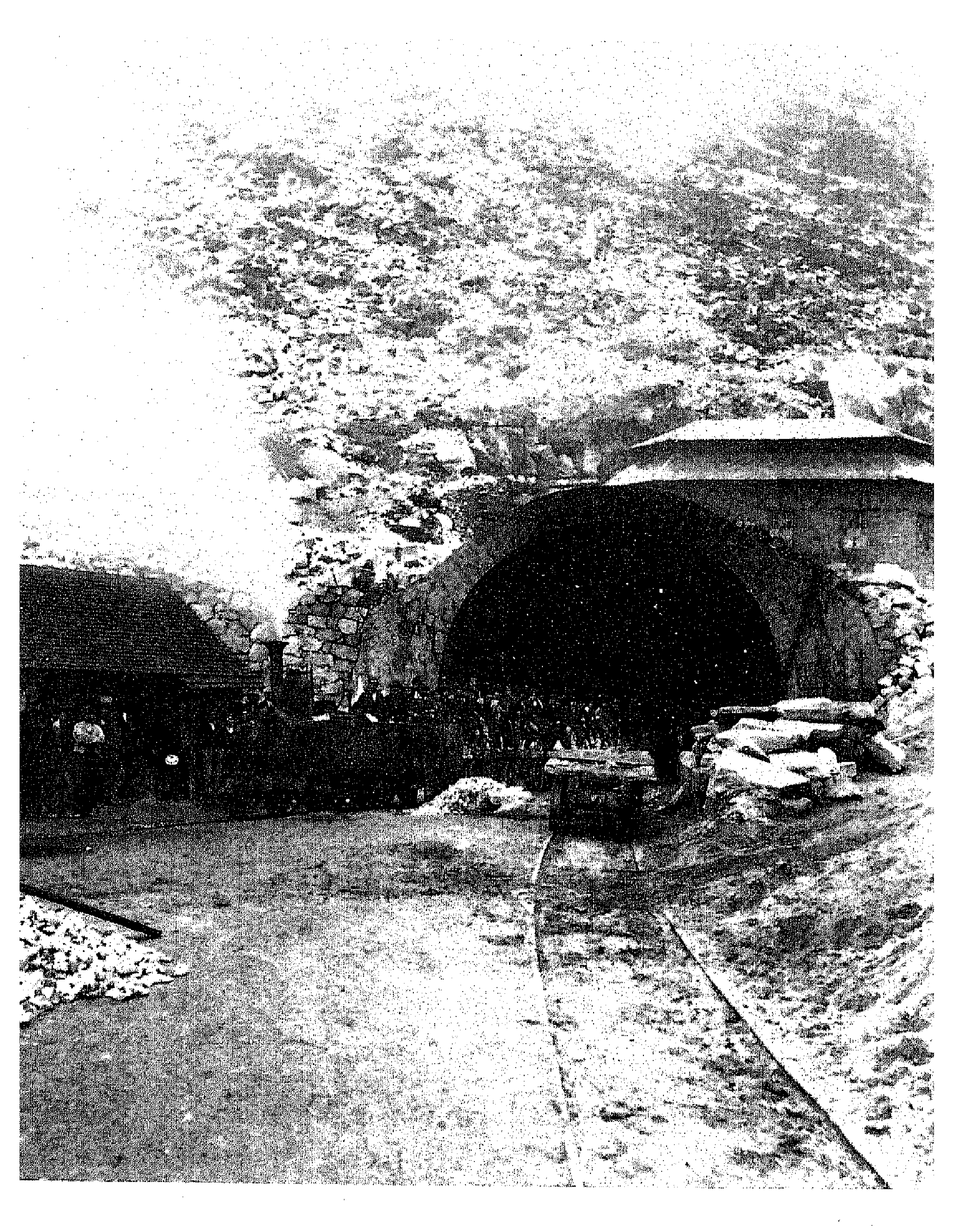
العامل النموذجى فى تصنيع سويسرا حتى الثلث الأخير من القرن ١٩ .

كان أهم فروع الصناعة هو تصنيع القطن ، الذى انتشر غزله ونسجه أولا وقبل كل شىء فى شرق البلاد منذ القرن ١٧ . فكان عمال المنازل يحصلون على المواد الخام من تجار المدينة الكبار فى زيوريخ أوسانت جالِن ويصنعونها فى منازلهم . لكن كثيرًا ما كان يتدخل بعض الناس بين الرأسماليين والمنتجين وهم القائمون على النقل أو التجار الوسطاء الذين استطاعوا عن طريق القيام بالوساطة أن يتحصلوا على المعرفة الفنية والإمكانيات المالية والخبرة بالسوق لكى يقوموا هم أنفسهم بعمل العقود مع العمال لحسابهم الخاص . ونشأت المعارضة التحررية ضد أرستقراطية المدن من هذه الطبقة الريفية من *المقاولين* . كذلك خرج من هذه الطبقة أصحاب *المصانع* الجديدة . وفى ١٨٠١ أقيم أول مغزل آلى فى سانت جالِن وبدأ التحول تدريجيًا فى الثلاثينات إلى ميكنة صناعة النسيج . فشن عمال المنازل معركة يائسة ضد استعمال الآلات على مدى عشرات من السنين . وبالرغم من الهجوم العنيف الذى شنوه على المصنع الآلى للنسيج فى أوسْتَر (١٨٣٢) فإنه لم يمكن وقف انتصار نظام الميكنة الصناعية . *ونجحت صناعة النسيج السويسرية فى أن تحظى بمكانتها فى أسواق العالم* .

كان تصنيع الحرير فى شرق سويسرا وفى بازِل ذات أهمية كبيرة بجانب صناعة القطن . *وأدى القضاء على نظام الاتحادات المهنيه* فى جنيف إلى انتشار واسع *لصناعة الساعات* امتد من النواحى الجبلية فى الچورا حتى بازِل . كذلك كانت هذه الصناعات مطبوعة سابقًا ولأمد طويل بطابع الصناعات المنزلية الريفية .

٣ ازدهار السكك الحديدية ونظام سيادة الأحرار

قامت الدولة الاتحادية الجديدة ، فأُلغيت الجمارك الداخلية ، ووُحِّدت العملة والمقاييس ، ووُضعت خدمات البريد فى أيدى الاتحاد . ولم يتبقَّ من أجل تحقيق



الفتحة الشمالية لنفق جوتهارد قبيل إتمامه حوالى ١٨٨٠ . اعتُبر هذا النفق الذى يبلغ طوله ١٥ كم مخترقًا جبال الألب ليصل ما بين الشمال والجنوب عملًا فنيًا رائعًا يرمز إلى التصنيع والتقدم ، وما زال حتى يومنا هذا محورًا رئيسيًا للمواصلات . مكتبة أ ت هـ ، زيوريخ .

الانفتاح التجارى للبلاد إلا *إنشاء شبكة للسكك الحديدية* . وبالرغم من أن بازِل كانت مرتبطة منذ ١٨٤٤ بخط السكة الحديد الألزاسى إلا أنه لم يكن يوجد على أرض الاتحاد الكونفدرالى حتى تأسيس الدولة الاتحادية إلا خط قصير يصل ما بين زيوريخ وبادِن . كانت *السكك الحديدية جد متأخرة* ، وأصبح واجبًا الآن على قادة الأحرار أن يطوروها بقوة . ونجح أخيرًا *ألفْرِد إشَر* من أحرار زيوريخ فى ذلك بعد صراع طويل : وصدر طبقًا لرغبته قانون السكك الحديدية لسنة ١٨٥٢ الذى وضع الخطوط الخاصة للشركات تحت سلطة المقاطعات . نتيجة لذلك لم تنشأ فقط شبكة من الخطوط الصغيرة والمتوسطة التى كانت تقف ضد بعضها البعض فى تنافس مرير معتمدة غالبًا على دعم المقاطعات والوحدات المحلية ، إنما نشأت أيضًا شبكة متداخلة من المصالح الرأسمالية والقوى السياسية .

استحوذ قادة الحركة التحررية على الوظائف والمناصب الرفيعة كما أنهم أصبحوا فى نفس الوقت القادة الاقتصاديين والمنظمين السياسيين للدولة الاتحادية الجديدة .
وسادت ظاهرة محاباة الأقارب ولم تعد الوظائف البرلمانية ومناصب الدولة تُعطى إلا إلى الأصدقاء المخلصين الذين كانوا أيضا مرتبطين تجاريًا بهؤلاء القادة . ولم يلبث أن بدأ المواطنون يستخدمون كلمة < *الأسلوب* > بشكل حاطٍ منتقص ساخر ليستهزئوا بها من أسلوب قيادة البورجوازية الليبرالية . واعْتُبِر *ألفْرِد إشَر* كأحد أهم ممثليها . فهو لم يكن يشغل فقط وظائف لا حصر لها فى الدولة ، وإنما كان مالكًا أيضًا للسكة الحديد الشمالية الشرقية ، ومؤسسًا لأحد البنوك الكبيرة : الكْريدِى سْويس (١٨٥٦) . *ويمثل تأسيس البنوك بجانب إنشاء السكك الحديدية أحد أهم سمات هذه الفترة فى التوسع الاقتصادى بعد تأسيس الدولة الاتحادية* . وقامت فى خلال الفترة من ١٨٥٠ حتى ١٨٦٠ وحدها ستة بنوك تجارية من الطراز الجديد برؤوس أموال مساهمة تُعتبر كبيرة جدًا بالنسبة لذلك الزمن . وخدمت بالدرجة الأولى *تمويل إنشاء السكك الحديدية وميكنة صناعة النسيج* . وأخذت رؤوس أموال عائلات النبلاء تتجه الآن نحو البنوك المساهمة ، بعد أن كانت تُستخدم قبْلا فى



كاريكاتير عن إنشاء السكك الحديدية . فبعد ثلاثين سنة من العمل يُفصل العامل ، بينما زادت سمنة حامل الأسهم . . . مكتب الكتاب ، فريبورج / الاتحاد النقابى السويسرى .

رهن الأراضى ولا يستطيعون استردادها عمليًا . ولم يعد الفلاحون والعمال الحرفيون المحتاجون لقروض يتجهون إلى مقرض خاص للنقود ولكن إلى شركات محدودة المسئولية تفضّل تمويل المشروعات التجارية الكبيرة على أن تعطى قروضًا لضمان رهن . ونقد فِيلِيب أَنْطون فون سجِسَّر (١٨١٧ ـ ١٨٨٨) من جانب المحافظين فى لُوتْسيرْن هذا التطور قائلا : < أصبح الناس فى الوديان يدرسون قائمة أسعار العملة فى زيوريخ بعد أن كانوا فيما مضى يعملون حساباتهم عن الأرض وتربية الماشية مع المشرف الإقطاعى > .

الحركة الديموقراطية

١ المعارضة ضد النظام التحررى

كوّن النظام التحررى لنفسه سريعًا عددًا كبيرًا من المعارضين ومن أكثر المعسكرات اختلافًا . فتضامن العمال اليدويون والفلاحون المتضررون اقتصاديًا ، والمثقفون الديموقراطيون ، والفدراليون المحافظون وكوّنوا معارضة وإن لم تكن بالضرورة موحدة . فمن ناحية كانت تقف العناصر التقدمية التى تطالب بالاشتراكية الديموقراطية المتطرفة للعمال اليدويين الذين كانوا يركزون على < المشكلة الاجتماعية > ، ومن الناحية الأخرى كان هناك كتلة سكان الريف ، وممثلو العائلات الحاكمة سابقا الذين أصبحت حياتهم المترفة مهددة من جراء ذلك التطور العاصف . كان هناك *مطلب مشترك يربط ما بين الطرفين وهو زيادة الاشتراك الشعبى فى الحكومة التى كانوا يأملون فيها بعد إلغاء نظام التمثيل الليبرالى .* ولم يكن من الواضح بعد أنه توجد طبقة عاملة متميزة عن البورجوازية الصغيرة فكانت البرجوازية التقدمية هى التى تحمل المطالب الديموقراطية . لكن *المعارضة الديموقراطية* نفسها لم تتقيد فقط بالمطالبة بالإصلاحات *الدستورية* ، بل طالبت بإنشاء بنوك *المقاطعات* من أجل مساعدة الناس البسطاء على الحصول على الائتمان ، *وتشجيع التعاونيات* ، وتحقيق *التعليم المجانى* ، وتخفيض الضرائب . كما طالبت بإصلاح حال عمال المصانع بحماية *الأطفال* ، *وتحديد ساعات العمل* . كانت هذه هى مطالب الإصلاح الاجتماعية والاقتصادية التى ربطت جماعات المعارضة المختلفة ضد نظام الحكم الليبرالى .

٢ الحركة الديموقراطية فى المقاطعات وتعديل دستور الاتحاد لسنة ١٨٧٤

بدأ النزاع على المطالب الديموقراطية فى *المقاطعات* مثلما كان الأمر فى

الثلاثينات . وشملت الحركة معظم مقاطعات الهضبة الوسطى من ريف بازل فى اتجاه الشرق . تعلق الأمر فى كل مكان *بتوسيع حقوق الشعب الديموقراطية* بجانب المطالب الاجتماعية السياسية المختلفة وأراد الأحرار فى زيوريخ أن يعملوا < كل شىء من أجل الشعب > . ولكن الديموقراطيين تشبّثوا بمطلبهم < كل شىء بواسطة الشعب > وانتصروا فى ١٨٦٩ فى معركتهم من أجل الدستور . *أصبحت الحكومة تنتخب الآن مباشرة من الشعب كما أصبحت كل مشروعات القوانين البرلمانية تخضع للتصويت الشعبى* . وبالرغم من أن التغيير لم يكن فى كل المقاطعات بنفس العمق الذى حدث فى زيوريخ ، إلا أن *موكب النصر للديموقراطيين* لم يكن من الممكن وقفه فى أى مكان . وبينما كان هناك حوالى واحد مليون من السكان فى ١٨٦٠ من مجموع البالغ عددهم ٢,٥ مليون فى سويسرا يعيشون فى ظلال دساتير نيابية ديموقراطية محدودة فإنهم لم يتعدوا الـ ٣٠٠٠٠٠ بعد عشر سنوات فقط .

إن النجاح الذى أحرزه الديموقراطيون فى المقاطعات جعل تعديل الدستور أمرًا ضروريًا . وكان من نتائج إحدى الاتفاقيات التجارية مع فرنسا أن تمت فعلا منذ عام ١٨٦٦ تعديلات جزئية ألغت نصوص التمييز ضد اليهود . ووجب الآن طبقًا لرغبة الديموقراطيين أن يُضاف *الاستفتاء الشعبى* وأن يعطى *للحكومة الاتحادية الحق فى إصدار التشريعات الاشتراكية* . لكن الليبراليين أيضًا كانت لهم رغباتهم فى *تعديل الدستور* . وكان ما يعنيهم قبل كل شىء هو توحيد *الجيش وتوحيد القوانين الاقتصادية* (حرية التجارة والصناعة ، وحدة القانون التجارى . . . إلخ) . ولكن رُفضت المسودة الأولى للدستور الاتحادى المعدَّل (١٨٧٢) بسبب *اتحاد مقاومة الفدراليين فى مقاطعات الهضبة الوسطى الكاثوليكية مع سويسرا الغربية البروتستانتية ـ فرفضت مثلا مقاطعة الفو وهى المقاطعة المتطرفة المتزعمة لحركة الرفض* هذه المسودة المعدلة بـ ٥١٠٠٠ صوت ضد ٣٠٠٠ . وكان شعارهم فى صراعهم من أجل تعديل جديد « فلينضم إلينا الفاليزيون »[1] ، وبالفعل قُدِّم هذا

---

(١) وهم الرومانديون أو السويسريون المتكلمون بالفرنسية .

التعديل الجديد بعد سنتين إلى الشعب للتصويت عليه . وكما حدث كثيرًا فى السنوات السابقة ، خُفِّفت قليلا البنود الخاصة بالمركزية والتى كانت مثار الرفض ، فى حين زادت حدة البنود الضد الكاثوليكية . بذلك انقسمت المعارضة . وقامت حركة كفاح ثقافية عارمة أدّت بدستور الاتحاد إلى الانتصار فى ١٨٧٤ .

يتميز دستور ١٨٧٤ الذى ما زال ساريًا إلى اليوم فى خطوطه الأساسية بأنه ذو وجهين : فهو يمثل من ناحية انتصارًا لليبرالية فى المجال الاقتصادى من حيث أنه جعل من الأمة أخيرًا *وحدة اقتصادية واحدة* ، ومن ناحية أخرى فهو يحدد نهاية العهد الليبرالى فى السياسة الداخلية . *ويمثل هذا العبور إلى ديموقراطية الاستفتاء الحديثة ، التى يمكن فيها إخضاع كل قانون للتصويت الشعبى إذا ما قُدِّمت التوقيعات الكافية كما يُعتبر أحد أهم التحولات فى تاريخ سويسرا الحديث . وبقى هذا الاستفتاء حتى اليوم العنصر الأساسى فى الأسلوب السياسى لسويسرا .*

٣ المعارضة الكاثوليكية ضد التحررية

أصبح المحافظون الكاثوليك يقفون على هامش الحياة السياسية فى الاتحاد الكونفدرالى بعد هزيمتهم فى سنة ١٨٤٨ ، كما أصبحوا يُعامَلون كمواطنين من الدرجة الثانية لا يعتمد عليهم ، ذلك لأنهم ساندوا دعاوى البابوية وحلف الزونْدِرْبُونْد ، والتجأوا إلى القوى الكاثوليكية العظمى فى أوربا (وخاصة النمسا والمجر) ليس فقط لمساندتهم فكريًا ، إنما للمساعدة المسلحة أيضًا . لكن وضعهم لم يُمس بفضل سيادة المقاطعات وحماية قلاعهم العالية فى مقاطعات الألب بوسط سويسرا .

يعنى اصطلاح المحافظين فى سويسرا فى القرن ١٩ شيئًا مختلفًا عما يعنيه ذلك الاصطلاح فى الدول الأوربية المجاورة : فلم يكن هناك نظام محافظ يقوم على المِلْكية الكبيرة للأراضى أوعلى أقلية عسكرية : بل إن النظام المحافظ يعنى

بالأحرى فى سويسرا الدفاع عن هيكل السلطة المحلى واستقلالية الثقافة ضد سلطة مركزية متحررة متطرفة . وعبَّر رجل الدولة فِيليب أنطون فون سِجسَّر وهو محافظ كاثوليكى عن معارضته للتحررية بالصيغة التالية : < إننى تكلمت وصوَّت فى كل مكان فى حياتى العامة كديموقراطى ، وفدرالى ، وكاثوليكى . وهذه المفاهيم الثلاثة هى التى حددت سلوكى > . وهكذا لم يكن المحافظون الكاثوليك إلا الجناح الكاثوليكى لمعارضة محافظة فوق المذهبية ضد مركزية الأحرار المتطرفين . وهى معارضة شملت أيضًا أتباعًا من الفدراليين البروتستانت ومن مسئولى الكنيسة .

لم يكن كل المحافظين كاثوليك ، كما لم يكن كل الكاثوليك محافظين . ونتج من هذا التداخل بين الحدود الدينية والحدود السياسية تحالفات تتغيَّر من حالة إلى أخرى . وحيثما لم تنجح التحررية فى إثارة المشاعر ضد الكاثوليكية من أجل تحقيق أهدافها ، فإنها كانت تتعثر على أحد التحالفات التى كانت تدافع عن الفدرالية أو الحقوق الشعبية الديموقراطية بصرف النظر عن الانتماء الدينى لمؤيديها . وعن طريق هذا التحالف انتصر الديموقراطيون على الأحرار الذين كانت لهم السلطة المطلقة فى المقاطعات . وأصبح لهم الآن قاعدة لتوجيه سلسلة من الهزائم للأحرار بعد أن أدخلوا الاستفتاء على مستوى الحكم الفدرالى الأمر الذى أدَّى فى النهاية إلى تنازلات مؤكدة لصالح المحافظين ولصالح التكامل الكاثوليكى فى الدولة الفدرالية السويسرية .

الازدهار الصناعى وتغير الجبهات السياسية

١ الأزمة الزراعية وإعادة بناء هيكل الاقتصاد الزراعى

لم تكن سنة ١٨٧٤ سنة تحول سياسى فحسب بسبب إصدار *دستور الاتحاد الجديد* ، وإنما حدث فيها أيضًا تغير عميق أصاب الحياة الاجتماعية والاقتصادية وكان أوضح ما يكون فى مجال *الاقتصاد الزراعى* .

وتسبَّب إنشاء أسطول أعالى البحار وإقامة شبكة السكك الحديدية الدولية فى وقوع أزمة فى الاقتصاد الزراعى السويسرى . فمنذ السبعينات تزايد ورود الغلال الرخيصة من أوربا الشرقية وأعالى البحار لتُعرض فى السوق السويسرية . وانهارت أسعار المنتجات الزراعية : فكان الـ ١٠٠ كجم من الحبوب يباع فى ١٨٧٣ بحوالى ٤٠ فرنكًا ، ولكن سعره نزل إلى النصف فى ١٨٩٠ وزاد استيراد الحبوب كما زاد أيضًا استيراد المواد الغذائية الأخرى وأخذ عدد الفلاحين الذين أصابتهم الضائقة المالية يتزايد باستمرار . فاتجه بعضهم إلى *تربية الماشية* التى كانت من صميم نشاط المزرعة السويسرية فى المناطق الجبلية منذ القرون الوسطى ، كما اتجه البعض الآخر إلى الهجرة خارج البلاد . وانخفضت المساحة المنزرعة انخفاضًا شديدًا : فبينما كان من الممكن تغطية ما يزيد عن نصف ما يُستهلك من الحبوب بالإنتاج المحلى فى ١٨٥٠ ، فإن ما أمكن تغطيته فى ١٩١٤ لم يتعد ٢٠٪ .

وأراد الفلاحون أن يثبِّتوا وضعهم بعض الشىء فاتحدوا فى *تعاونيات زراعية* ووجدوا *فى تصدير منتجات الألبان* (الجبن ، واللبن المركز ، والشوكولاتة) وفى تربية الماشية تعويضًا عن سوق الغلال المفقودة . لكن ما كان هذا ليستطيع أن يحد من *تناقص سكان الريف* . ففى ١٨٨٨ كان ٣٦٪ من سكان الريف يعملون فى القطاع الزراعى ، لكن هذا الرقم انخفض عند نشوب الحرب العالمية الأولى إلى ٢٥٪ فقط . ولم تكن هناك نسبة أقل من ذلك فى كل أوربا إلا فى بريطانيا العظمى المصنعة تصنيعًا عاليًا .

٢ نشأة بعض الصناعات التصديرية الهامة

كانت صناعة الساعات وصناعة نسج الشرائط الحريرية تعملان دائمًا من أجل التصدير . ومنذ الثلاثينات أصبحت صناعة نسج القطن السويسرية تنافس الصناعة الإنجليزية ، وبدأت تغزو الأسواق الخارجية .

وتعتبر الأزمة الاقتصادية الطويلة التي بدأت في ١٨٧٤ نقطة تحول *أفقدت صناعة النسيج وضعها المهيمن في الصناعة السويسرية* . وبدأ عدد المغازل في الانخفاض لأول مرة خلال عشرات من السنين . وأدى استخدام الآلة البخارية بالإضافة إلى كثير من التجديدات التكنولوجية إلى *عملية تركيز سريعة* . وخرجت *صناعة الكيماويات وصناعة الآلات بوجه خاص* من ظلال صناعة النسيج وكفَّت عن أن تكون تابعةً وذنبًا لها ودخلت في مرحلة من النمو السريع . *واستطاعت سويسرا في وقت قصير للغاية أن تُنمِّي صناعاتها التصديرية التي لها أهمية عالمية بالرغم من عدم وجود أي معادن فيها لها أهميتها بالإضافة إلى عدم وجود الفحم أو المواد الخام الأخرى* .

وتوصلت الشركات الكيماوية في بازِل التي قامت بتصنيع صبغات قطران الفحم في ذلك الوقت مع منافسيها الألمان إلى احتكار السوق العالمية . *وحازت منتجات صناعة الآلات على مرتبة الشرف الممتازة في معرض ڤيينا العالمي سنة ١٨٧٣* .

واتسع استخدام الآلة البخارية كما لم يلبث أن اتسع استخدام المحركات الكهربائية الأمر الذي وفَّر طلبًا ثابتًا عليها . وزاد عدد العاملين في صناعة الآلات ، والذي لم يكن يبلغ في ١٨٥٠ إلا حوالي ٤٠٠٠ فقط إلى ما يزيد على أربعة أضعاف في ١٨٨٨ ، وتضاعف في التسعينات مرة أخرى . *وأصبحت صناعة الآلات أهم صناعة تصديرية لسويسرا* بلا منازع *عند نشوب الحرب العالمية الأولى* .

ولا يمكن إغضاء النظر عن *أهمية إنشاء السكك الحديدية* في هذا التطور . فمن ناحية مكَّن نظام النقل الجديد من تدبير المواد الخام الناقصة وسمح ببيع البضائع خارج البلاد ، ومن ناحية أخرى فإن إنشاء السكك الحديدية وفر طلبًا كبيرًا على صناعة الآلات في تلك الفترة .

وقام نزاع طويل بين مقاطعات شرق وغرب سويسرا حول الموضع الذي يجب أن

يقام فيه *الخط الحديدى عبر جبال الألب* تقرر فى النهاية لصالح *الجوتهارد* بضغط من إيطاليا وألمانيا : إذ أن هاتين الدولتين أخذتا على عاتقيهما أن يمولا الجزء الأكبر من هذا العمل مقابل الحصول على امتياز فى نقل بضائعهما بتعريفة مخفضة .

وفى عام ١٨٨٠ تحقق اختراق النفق للجبل بطول ١٥ كم ، وبعد سنتين من ذلك افتتح الخط الحديدى الجديد . وبهذا العمل انتهى أهم جزء من بناء شبكة الخطوط الحديدية السويسرية . وأنشىء فيما بين ١٨٤٤ ومنتصف الستينات ١٣٠٠ كم ، كما أنشىء حتى ١٨٨٥ ما يبلغ ١٤٠٠ كم أخرى . ثم لم يُضف إلى ذلك إلا ٧٠٠ كم حتى الحرب العالمية الأولى .

٣ الاتحادات الاقتصادية والسياسة الجمركية

دخلت فترة السبعينات والثمانينات التاريخ على أنها فترة < *الركود العظيم* > على أساس انهيار النشاط الاقتصادى فى ذلك الوقت . وتغير مبدأ حرية التجارة والذى كان يحكم لبعض الوقت العلاقات بين الدول الأوربية ، وظهر مبدأ جمركى جديد هو حماية الصناعة المحلية عن طريق *الحوائط الجمركية* وإضعاف حرية حركة المنافسة الأجنبية . وكلما كان تنظيم إحدى الصناعات أفضل فإن ذلك كان يسهل لها أن تجعل السياسة الجمركية تخدم مصالحها .

وأمكن الإحساس بضغط دعاة الحماية الجمركية حتى فى سويسرا التى كانت تقف دائمًا وتقليديًا إلى جانب حرية التجارة . وأدى التوسع الاقتصادي إلى *قيام جمعيات صناعية وتجارية :* فتاسس فى سنة ١٨٧٠ الاتحاد الصناعى والتجارى السويسرى ، ثم تكوَّن بعده فى سنة ١٨٧٩ *الاتحاد السويسرى للحرف السويسرية* . ولم يلبث كلا الاتحادين أن حصلا على دعم من الدولة . كذلك حصلت على هذا الدعم *هيئات التنسيق التي أقامها الفلاحون والعمال* . ويرجع ذلك إلى أن السلطات الفدرالية لم تستطع أن تشرف بنفسها على الشئون الاقتصادية لذلك كان عليها أن تعتمد على مساعدة مثل هذه الاتحادات .

ونشبت أول معركة كبيرة بين الاتحادات العامة المختلفة لاختلاف مصالحها فيما يختص *بتعريفة الجمارك والاتفاقيات التجارية* . كذلك بدأ نفوذهم يظهر فى

البرلمان فيما يختص بالتشريع المتعلق *بالتجارة والعقود* (*حق الالتزام*) ، *وفى قانون السكك الحديدية* ، كما ظهر نفوذهم فى أولى الإجراءات التى اتخذتها الحكومة الفدرالية لتحقيق *سياسة الرخاء الاجتماعى* .

وأدت المناقشات التى قامت لتعديل التعريفة الجمركية فى الثمانينات والتسعينات وبالذات فى تعديل ١٩٠٢ إلى استقطاب المصالح المختلفة . *فوقف الفلاحون والعمال الحرفيون إلى جانب سياسة الحماية الجمركية ، بينما دافع المتكلمون باسم الصناعات المرتبطة بالتصدير عن حرية التجارة* .

وكان يجب عمل استفتاء بشكل منتظم على التعريفة الجمركية . لذلك استطاعت تلك الاتحادات التى كان استعدادها أفضل من غيرها فى تعبئة مؤيديها أن تكون فى وضع أفضل أيضًا للدفاع عن مصالحها . ولعب *اتحاد الفلاحين* الدور القيادى فى هذا الخصوص ، واستطاع بالفعل تحت قيادة سكرتيره إرْنْسْت لور الذى امتد به العمر فترة طويلة (١٨٧١ - ١٩٦٤) أن يؤثر تأثيرًا كبيرًا على السياسة الاقتصادية لسويسرا ولم يستطع أن ينافسه فى هذا التأثير إلا القليل من قادة اتحاد التجارة والصناعة .

وحتى نشوب الحرب العالمية الأولى اتخذ التعاون بين الحكومة والاتحادات الاقتصادية قواعد محددة مما سمح لهذه الاتحادات أن تؤثر تأثيرًا كبيرًا على السياسة الفدرالية من خارج الشكل البرلمانى . وبالرغم من أن الأمر احتاج لعشرات من السنين لوضع أساس دستورى لهذا النظام ، فإن تأثير الاتحادات كان بالفعل كبيرًا بالمقارنة بأعضاء البرلمان .

٤ تداعى الجبهات القديمة

سيطرت الصراعات من أجل تنفيذ دستور الاتحاد الجديد فى السبعينات والثمانينات . هذا الدستور الذى حدد فى المجالات السياسية المختلفة كفاءة الحكومة الفدرالية لكن دون تنفيذ التشريعات الخاصة به .

أدت الحقوق الديموقراطية الجديدة للشعب *إلى معارك عنيفة بين الأحرار والكاثوليك* . إذ وجد الكاثوليك الذين انهزموا فى الزونْدرْبُونْد والذين وضعتهم المعركة الثقافية من جديد فى وضع صعب ، أنه أصبح لديهم مع *الاستفتاء* سلاح فعّال فى أيديهم لشن هجومهم ضد حكومة الأحرار . فإذا ما بدا على أى مشروع لقانون أنه يهدد الحقوق الفدرالية أقل تهديد حتى ولو من بعيد ، فإن الكاثوليك كانوا

يجمعون بكل بساطة الـ ۳۰۰۰۰ توقيع المطلوبة على التماس لعَمل استفتاء . وتحوّل الأمر إلى < حُمّى استفتائية > حقيقية . ورُفضت قوانين تتعلق بالمدارس ، وإصدار أوراق النقد ، وشراء الدولة للسكك الحديدية المملوكة مِلْكِية خاصة ، وأصاب نفس المصير مشاريع قوانين التطعيم ، أو التصاريح الممنوحة للمسافرين التجاريين . بلغت الاستفتاءات التى عُملت فى الفترة ما بين ١٨٧٤ و ١٨٩١ (١٩) استفتاء ، ولم ينجح الأحرار إلا فى ست مناسبات أن يحققوا وجهة نظرهم بالرغم من الأغلبية التى كانوا يحوزونها فى البرلمان الفدرالى . واشتكت جريدة برن الحكومية وهى < *جريدة البُونْد* > بمرارة تقول : < بهذه الطريقة أصبح الاستفتاء الشعبى الذى كان من المفروض أن يدعم الروابط بين الحرية والنظام أداة ثورة تؤدى إلى تحلل الدولة > .

لكن ، ما كان من الواجب أن تصل الأمور إلى هذا الحد : *إذ اتفق الطرفان على إنهاء إعاقة العمل البرلمانى بعمل تنازلات من الجانبين : وبدأ التقارب فى النصف الثانى من الثمانينات بين الأحرار المتطرفين ، والكاثوليك المحافظين* . وبالرغم من أن كتلة الأحرار ، والمتطرفين ، والديموقراطيين استمرت فى أن تتوفر لها الأغلبية المطلقة فى البرلمان حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، عندما سرى قانون انتخابى جديد بالتمثيل النسبى فى البرلمان ، فإن *أحد المحافظين كان يُنتخب بشكل منتظم للمجلس الفدرالى منذ ١٨٩١* . ولم تكن إضافة هذه الحصة من التمثيل النسبى تمثل ثمنًا غاليًا جدًا لِضم الكاثوليك وتكاملهم فى الدولة المتحررة فكريًا .

كان چوزِف تَسِمْپ (١٨٣٤ ـ ١٩٠٨) من لوتْسِرن أول عضو محافظ للمجلس الفدرالى ، وبدأ يتداعى بعد انتخابه موقف الجبهة القديم بين الأحرار المتطرفين والكاثوليك . *وكان قيام الحركة العمالية وتأسيس الحزب الديموقراطى الاشتراكى (١٨٨٨)* من الأسباب التى أسرعت من هذه العملية . وانخفض عدد الاستفتاءات المحافظة بشكل ملحوظ . وأمكن تحرير عدد من العمليات التجارية الهامة من حصارهم : فحصل الاتحاد على سلطة شراء السكك الحديدية المملوكة ملكية خاصة ، وأسّس سكك حديد الاتحاد السويسرى (١٩٠٣) . وأمكن الموافقة فى الاستفتاء على التنظيم العسكرى الذى كان عليه صراع طويل (١٩٠٧) ، وعلى قانون التأمين ضد المرض والحوادث (١٩١٢) . *وتغيّرت الجبهات حتى نشوب الحرب العالمية الأولى إلى درجة أن معظم الخلافات داخل المجتمع لم تعد بين الأحرار المتطرفين والكاثوليك ، وإنما بين العمال والقوى البورجوازية من كلا المعسكرين* .

الحركة العمالية

١ البداية

لم تمثل الحركة العمالية حتى نهاية القرن ١٩ الكتل العريضة من العمال . وكان اتحاد العمال الذى تأسس فى ١٨٧٣ خليطًا زاهيًا من نقابات العمال ، والنوادى التعليمية للعمال وصناديق تأمين المرضى ولا يضم فى أحسن حالاته إلا حوالى ٣٠٠٠ عضو . وخلفه من بعده *الاتحاد السويسرى لنقابات العمال* ولم يستطع أيضًا أن يتعدى عدد أعضائه الرقم السابق إلا فى حوالى سنة ١٨٩٠ .

لكن وُجدت مع ذلك *حركة اشتراكية* حملها أساسًا الأجانب إلى بعض المدن السويسرية منذ زمن طويل . وتحوّلت جنيف وزيوريخ لفترة ما إلى ملاجىء أمان فعلية للمهاجرين الاشتراكيين والفوضويين ، الهاربين من القمع فى بلادهم . وظهرت بعض أقسام الدولية الأولى التى أسسها ماركْس وباكونين فى سويسرا الغربية ، والتى ظهرت بالدرجة الأولى بفضل هؤلاء المهاجرين . وتدفق الاشتراكيون الديموقراطيون بشكل ثابت من ألمانيا إلى سويسرا آثنا سيادة القوانين البسماركية ضد الاشتراكية فى ألمانيا .
وفى منتصف السبعينات أصبح ما يزيد عن ثلث أعضاء اتحاد العمال من العمال والحرفيين الألمان يعمل غالبيتهم فى صناعة الآلات .

نظمت الحركة العمالية السويسرية نفسها أولا فى عصبة *جْروتْلي*[1] منذ الثلاثينات ، *وهو اتحاد أصدقاء العمال الديموقراطى وكانوا يريدون تحسين الظروف المادية والأدبية للطبقة العاملة بالتربية والتعليم . وتمثل عصبة جْروتْلي*[1] *إحدى الهيئات العديدة التى أقامت روابط وثيقة بين الحركة الديموقراطية والحركة العمالية فى سويسرا .*

٢ نقابات العمال والحزب

قرّر اتحاد العمال القديم فى ١٨٨٥ أن يحلّ نفسه وأن يشكل < تنظيمًا نقابيًا صرفًا على أساس المبادىء الاشتراكية > وكان من المفروض أن يقوم *حزب اشتراكى ديموقراطى* مكلّف بالدفاع عن مصالح الحركة العمالية على المستوى السياسى بجانب

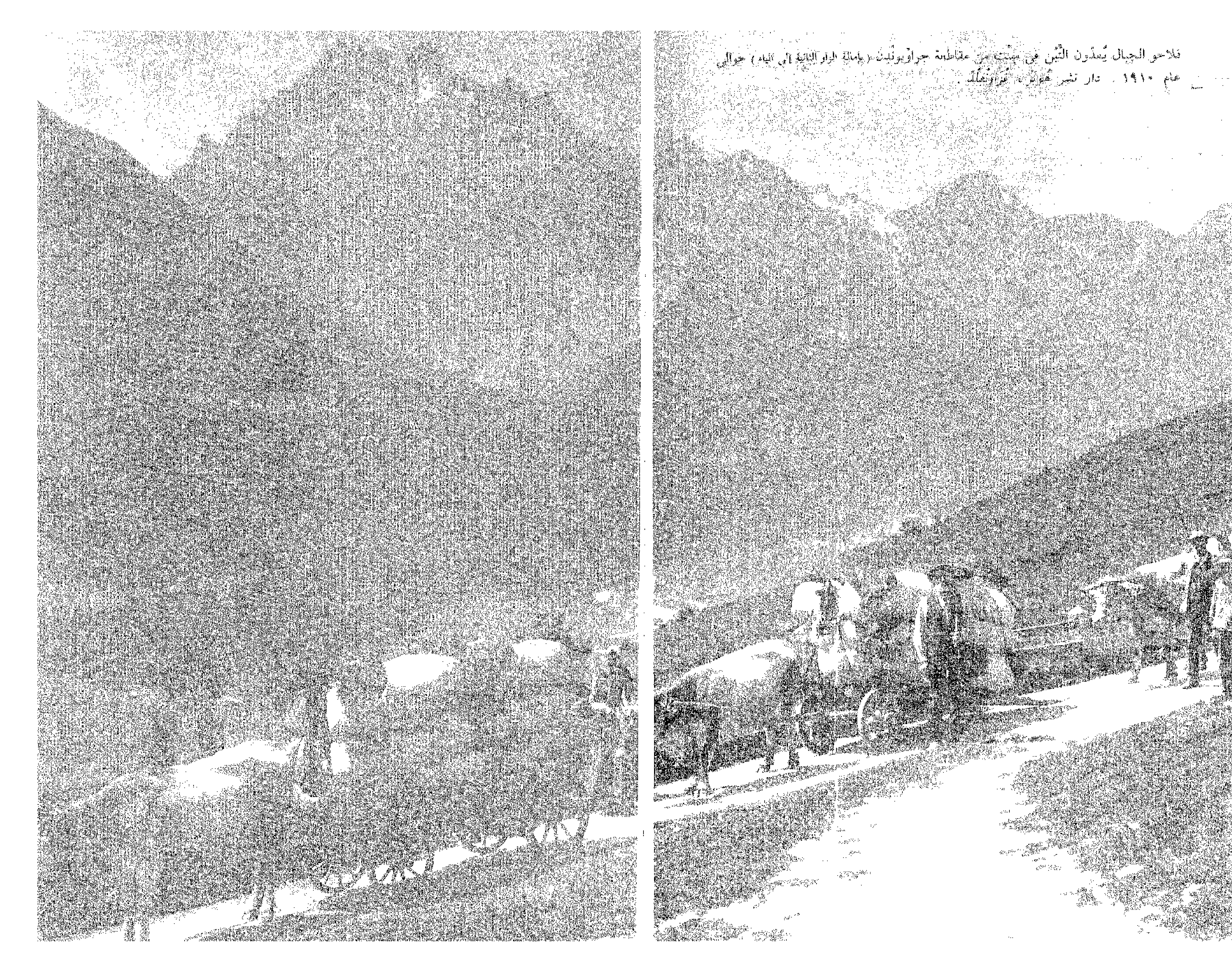
(١) بإمالة واو جْروتْلي إلى الياء .

هذا *التنظيم النقابى* طبقًا لما حدث فى ألمانيا التى كانت مَثَلهم الذى يحتذونه . على أى حال لم تكن الحاجة الملحة لهذا الحزب واضحة فى البداية فلم يتكوَّن إلا بعد ذلك بثمانى سنوات .

أدّت التفرقة بين الوظائف النقابية ، والسياسية فى نهاية الثمانينات إلى وضع حجر الأساس لحركة عمالية حديثة . وبدأ عدد أعضاء النقابات يتزايد ، وبخاصة بعد إنشاء صندوق مالى مركزى للإضراب عن العمل . *كما أدى تأسيس الحزب الاشتراكى الديموقراطى فى ١٨٨٨* إلى أن يؤسس الأحرار المتطرفون أيضًا حزبًا على نطاق الأمة فى ١٨٩٤ ، ثم تبعهم المحافظون فى ذلك (١٨٩٤ و١٩١٢) وأنشأوا أيضًا حزبهم (١٨٩٤ و١٩١٢) .

تأثرت الحركة العمالية السويسرية تأثرا عميقًا بوجود *نسبة كبيرة من العمال الأجانب* داخل البلاد : بلغوا حوالى ١٥٪ من السكان قبل عام ١٩١٤ . وكان حوالى نصف أعضاء اتحاد النقابات من الأجانب وأساسًا من الألمان والإيطاليين الذين تنقصهم الحقوق السياسية بخلاف الأمر مع العمال السويسريين . لذلك كان عليهم الاعتماد على الوسائل النقابية ، أى الإضراب للدفاع عن مصالحهم . وأدّت روحهم النضالية العالية إلى دفع *نقابات العمال إلى اليسار* ، وجعلت اتحاد العمال فى النهاية يتخلّى عن موقفه بالحياد السياسى لصالح برنامج < الكفاح الطبقى البروليتارى > . وأدّى أول *إضراب عام فى زيوريخ* (١٩١٢) إلى مزيد من الإضعاف للاتجاه الإصلاحى الاشتراكى تحت قيادة *هِرْمان جْروِيْلِش* (١٨٤٢ - ١٩٢٥) الذى مكث لفترة طويلة سكرتيرا للحزب الاشتراكى الديموقراطى .

هجر الحزب الاشتراكى الديموقراطى مواقفه الديموقراطية الوطنية فى الثمانينات تحت تأثير الاتجاهات اليسارية فى نقابات العمال ، وتبنّى برنامجًا فيه الكثير من ماركسية الدولية الثانية . مع ذلك بقى مطلبه السياسى كما كان فى تقاليد الحزب الديموقراطى فى الماضى ألا وهو : *تحقيق نظام انتخاب على أساس التمثيل النسبى* حيث أن الحزب لم



فلاحو الجبال يُعدّون التِّبن في سيشت من مقاطعة جراوبوندن (بإمالة الواو الثانية إلى الياء) حوالي عام ١٩١٠ . دار نشر [illegible] ، جراوبوندن .

إنشاء قناة فى مقاطعة زيوريخ حوالى ١٩٠٠ . رولاند جُريتلَر، ارشيف الصور والتوثيق لتاريخ الحركة العمالية ، زيوريخ .

يكن يستطيع فى ظل نظام الأغلبية السائد أن يحصل على ما يزيد عن حفنة من النواب داخل البرلمان .

٣ حماية العمال وتخفيض ساعات العمل

كانت المعركة من أجل *قانون للمصانع على نطاق الاتحاد الكونفدرالى* كله هى أول معركة كبيرة دخلتها الحركة العمالية فى القرن ١٩ . إذ أدّى التصنيع فى سويسرا كما أدّى فى غيرها من البلاد إلى ظروف عمل وحياة غير كريمة . كان أمرًا عاديًا أن يعمل العمال ١٤ ساعة يوميًا ، فى مصانع لا تتوفر فيها الشروط الصحية ، وأن تعمل النساء كما يعمل الأطفال تحت أقسى الظروف . ووُجدت بالفعل قوانين فى بعض المقاطعات لحماية الأطفال والشباب ولكنها كانت بدائية جدًا . وطالب الديموقراطيون بعمل تحقيق واستقصاء لهذه الظروف وعلى أساس نتائج هذا التحقيق أصدر المجلس الفدرالى فى ١٨٧٧ قانونًا لحماية عمال المصانع على نطاق سويسرا كلها ، وتخفيض ساعات العمل إلى ١١ ساعة فى اليوم . واحتج أصحاب الأعمال بشدة لكنهم لم ينجحوا فى الاستفتاء الذى طالب به اتحاد التجارة والصناعة . وبقى تطبيق *قانون المصانع* هذا مجال اختلاف طويل ، لكن قبوله يعنى بلا شك أول نجاح لحركة العمال السويسرية ، وبداية سياسة اشتراكية متأنية على نطاق الاتحاد الكونفدرالى كله . وقامت مناقشات مستمرة علنية فيما يختص بتنفيذ *قانون المصانع* بمعنى التقيد بساعات العمل المحددة ، واحترام إجراءات حماية العمال . وكان ظهور مطبعة عمالية تستطيع الدفاع عن مصالح الحركة العمالية أمرًا بالغ الأهمية .

أمكن بعد سنين طويلة من المفاوضات تضمين المطلب القديم لنقابات العمال بجعل ساعات العمل عشر ساعات فى اليوم فى قانون المصنع ، ولكن نشوب الحرب فى سنة ١٩١٤ أجّل تنفيذه .

الحرب العالمية الأولى أو فترة المواجهة

١ الهوة بين سويسرا المتكلمة بالألمانية وسويسرا المتكلمة بالفرنسية

أصابت الحرب العالمية الأولى سويسرا مثل صاعقة نزلت من سماء صافية . لم تكن مستعدة لها لا من الناحية السياسية ولا من الناحية التموينية بتوفير المؤن الأساسية . *وبالرغم من أن سويسرا استطاعت المحافظة على حيادها ، على الأقل رسميًا ، وأن تتجنب التورط مباشرة في الحرب ، فإن سنوات الحرب كانت تعنى شرخًا في تاريخها كان بنفس العمق الذى أصاب البلاد المجاورة .*

تميزت سويسرا المتكلمة بالألمانية بتفوق نسبى نتيجة للزيادة في عدد السكان وسيادة اقتصادها ، الأمر الذى تسبب فجأة في مشكلة سياسية كبرى . فبينما اتجه السويسريون المتكلمون بالألمانية إلى ألمانيا ليس فقط من ناحية العلاقات الاقتصادية ، ولكن أيضًا روحيًا ، فإن مواطنيهم المتكلمين بالفرنسية والإيطالية اتجهوا بأنظارهم إلى فرنسا أو إيطاليا . وهدد التحيز العاطفى لكلا الجانبين بتمزيق البلاد ، وقامت الحرب بين ألمانيا وفرنسا *فحفرت خندقًا عميقًا* بين *جزءى البلاد : المتكلم بالألمانية والمتكلم بالفرنسية .*

زادت قوة سويسرا المتكلمة بالألمانية بانتخاب الجنرال *أولريخ ڤيلى* (١٨٤٨ - ١٩٢٥) قائدًا عامًا للجيش والمعروف بميوله العسكرية الألمانية بالرغم من معارضة الروماند المتكلمين بالفرنسية . وقامت قيادة الجيش بعمليات مخابرات باسم الألمان بالإضافة إلى أمور عسكرية أخرى *أظهرت تعاطف قيادة الجيش مع انتصار ألمانيا* مما أدّى إلى اضطرابات جديدة في غرب وجنوب سويسرا . وصل الأمر في ١٩١٧ أن تدخل المستشار الفدرالى هوفْمانّ في اتجاه عقد سلام منفصل بين ألمانيا وروسيا ، واضطر إلى الاستقالة فورًا عندما انكشفت مهمته الدبلوماسية . وحصلت *سويسرا الغربية على مقعد ثانٍ في مجلس الاتحاد* تحتفظ به حتى اليوم لتهدئة ثورة غضبها وغضب

الحلفاء . *ولم تنفرج المواجهة بين الأقاليم اللغوية إلا بعد انتصار فرنسا* ، عندما اتجهت سويسرا الرسمية إلى الدول المنتصرة ودَخلت عصبة الأمم .

٢ الهوّة بين الطبقة العاملة والبورجوازية

لعب ازدياد حدة الصراع الطبقي الاجتماعي دوره في التخفيف من التوترات القائمة بين الأقاليم اللغوية : إذ أن ثورة العمال المنظمة قوّت من الاتحاد بين البورجوازية عبر الحدود اللغوية . *واستفادت الصناعة السويسرية بشكل كبير من الحرب بمجرد ما أن تغلبت بعد فترة قصيرة على المشاكل التي واجهتها في البداية* . وزادت الصادرات إلى جانبي الجبهة إلى درجة أن الميزان التجاري التقليدي السويسري الذي كان سلبيًا دائمًا أصبح إيجابيًا لصالحها لأول مرة . وارتفعت أرباح الحرب من صناعة المعادن والساعات ، والكيماويات ومن صادرات الأخشاب ارتفاعًا كبيرًا . كذلك استفاد الفلاحون من الوضع الجديد . وظفر الفلاحون أصحاب المزارع الذين ينتجون المواد الغذائية التي ترتفع أسعارها بسرعة على ميزة احتكارها الأمر الذي أعطاهم أهمية تزيد وتفوق على عددهم الفعلي بكثير . لكن ثمرة هذه *الظروف الاقتصادية المواتية* بسبب *الحرب* لم تُوزَّع توزيعًا عادلا : فالبلاد لم تعد تقسمها هوة ثقافية فقط ، إنما أصبحت هناك أيضا فجوة اجتماعية . وزادت معاناة *العمال في المدينة* بوجه خاص من نتائج الحرب ، عندما أخذ عشرات الآلاف من العمال الأجانب يعودون إلى أوطانهم . كما بدأت تعبئة العمال السويسريين ، وضعفت نقابات العمال إلى درجة أن *البطالة* ، *وتخفيض الأجور* ، *وازدياد الغلاء* بقيت عمليا بلا مقاومة تذكر من جانبها . ولم تكافح السلطات تخزين المواد التموينية والمضاربة مكافحة جدية . وزاد الغلاء بسرعة فائقة : فارتفعت أسعار المواد الغذائية فيها بين ١٩١٤ و ١٩١٨ بمتوسط ١٣٠٪ ، وكان الجنود الذين يُدعوْن إلى الخدمة على الحدود غالبًا ما يفقدون وظائفهم المدنية ، ولم تكن عائلاتهم تحصل إلا على أجر ١٤ يومًا ثم عليها أن تعتمد على نفسها بعد ذلك . فلم

يُعرف بعد آنئذ التعويض عن ترك الوظيفة ، واضطرت كثير من عائلات العمّال أن تعتمد على إعانة العَوَز العامة .

٣ الإضراب العام وتشكيل الكتلة البورجوازية

بدأت الطبقة العاملة تتجه إلى اليسار تحت تزايد الضغط الاقتصادى عليها فى النصف الثانى من الحرب . وعاد إجمالى عدد أعضاء اتحاد نقابات العمال فى نهاية ١٩١٦ إلى ما كان عليه قبل الحرب . وتخلّت حركة العمال عن < سياسة السلام مع البورجوازية > . وكثُرت الإضرابات والمظاهرات ضد الغلاء . وفى فبراير ١٩١٨ قام الزعيم العمالى روبِرْت جْريم (١٨٨١ ـ ١٩٥٨) بتوحيد أهم رؤ ساء نقابات العمال مع بعض ممثلى الحزب الاشتراكى الديموقراطى ، وبعض الممثلين المحليين من المدن الكبرى فيما يدعى بـ < *لجنة عمل أولْتِنَر* > . وبالفعل شكَّل هذا التنظيم الجديد فى الأيام الصعبة من ١٩١٨/١٩ القيادة الحقيقية للطبقة العاملة السويسرية .

زاد قلق السلطات السياسية من ازدياد الاتجاه المتطرف للعمال . وعندما قام الجيش فى نوفمبر ١٩١٨ باحتلال زيوريخ بدعوى الوقوف ضد انقلاب محتمل هناك ، اشتعل غضب عام كان شديدا إلى درجة أن نودِىَ بإضراب عام محلى ، لم يلبث أن اتسع *ليصبح إضرابا عاما شمل البلاد كلها وبدون تحديد فترة زمنية له* . بلغ عدد المشتركين فى هذا الإضراب حوالى ½ مليون عامل كان غالبيتهم من سويسرا المتكلمة بالألمانية . ورد مجلس الاتحاد الكونفدرالى بتوجيه إنذار نهائى استجابت له قيادة الإضراب بعد ثلاثة أيام من الإضراب خوفًا من تدخل الجيش .

وبالرغم من السرعة التى قُضى بها على هذا الإضراب ، فإنه كان ذا أثر بالغ على البورجوازية . واضطر حتى لور وهو أحد زعماء الفلاحين أن يقرّ بأن < الاشتراكية الديموقراطية السويسرية أظهرت قوتها وفاعليتها فى هذا الإضراب العام ، وإنها لعظيمة > . وكان هناك خوف عام من حدوث انقلاب وثورة . وطرُد الممثل

الدبلوماسى للاتحاد السوفيتى الوليد . وتكوّنت الميليشيات على نطاق البلاد كلها ، التى لم تلبث أن اتحدت تحت اسم < الاتحاد الوطنى > . وقامت الأركان العامة بعمل استعدادات كبيرة لمنع ما زعموه محاولات انقلاب . وطلبت إحدى المبادرات السياسية اعتقال جميع المواطنين الذين يهددون الأمن الداخلى . حقًا وصل الأمر مرة أخرى فى بازل وزيوريخ فى سنة ١٩١٩ إلى إضرابات عامة محلية ، *ولكن مظاهرات استعراض القوة بأسلوب الإضراب العام على نطاق البلاد كلها لم يتكرر فى تاريخ سويسرا مرة أخرى منذ ١٩١٨* .

شكلت البورجوازية من ناحيتها كتلة معادية للاشتراكية كرد على الإضراب العام : وقُبلت مبادرة سياسية كان الغرض منها *تبنى نظام التمثيل النسبى* وكان ذلك قبل نوفمبر ١٩١٨ بقليل . ولم يتوانَ الفلاحون فى أن يحرروا أنفسهم من تبعية الأحرار المتطرفين ، ويقوموا بتأسيس حزبهم الخاص بهم ، وقدّموا أنفسهم بكل ثقة على أنهم < الذين يطعمون الوطن ، كما أنهم الحصن الحصين ضد الفوضوية > . وأدّت الانتخابات فى خريف عام ١٩١٩ إلى انكسار الهيمنة التاريخية لحزب الأحرار المتطرفين ، وأنه لم يعد يسيطر بعد ٧٠ سنة على الأغلبية المطلقة فى مجلسى البرلمان . وأدّى نجاح الفلاحين الذين حصلوا فجأة بضربة واحدة على ١٤٪ من المقاعد إلى ضرورة توسيع التحالف بين الأحرار المتطرفين والمحافظين *ليصبح كتلة من البرجوازيين والفلاحين ضد الاشتراكية الديموقراطية* . وحصل المحافظون على مقعدهم الثانى فى مجلس الاتحاد الكونفدرالى المشكّل من سبعة رؤساء . واستطاع معسكر البورجوازيين بتدعيم صفوفه أن يتعادل مع مكاسب الاشتراكيين الديموقراطيين الذين حصلوا على ٢٠٪ من المقاعد .

٤ الصراعات فى بواكير العشرينات

قال روبرْت جْريم فيما بعد عن الإضراب القومى الكبير : « خسرت الطبقة العاملة معركة فى سنة ١٩١٨ ، لكنها ظفرت منها بانتصار . كانت المعركة قصيرة ، لكن النصر

الجيش ينزل إلى الشارع أثناء الإضراب العام فى زيوريخ عام ١٩١٨ . مؤسسة التصوير ، زيوريخ .

مظاهرة بمناسبة أول مايو فى زيوريخ ، ١٩٣٤ . رولاند جْريتْلر ، أرشيف الصور والتوثيق لتاريخ الحركة العمالية ، زيوريخ .

كان مستمرًا . ويكفى تأييدًا لهذا التقدير لآثار الإضراب العام إبراز أنه ثبّت *قانون المصانع بالعمل ٤٨ ساعة فى الأسبوع* ، وضمّن بندًا فى الدستور عن رعاية المسنين (١٩٢٥) ، وحسّن كذلك من ظروف *رعاية العاطلين* ، ووسّع من نظام *عقود العمل الجماعية* فى فترة ما بعد الحرب .

لكن لا يجب أن يجرنا تحليل جْرِيم إلى تفكير خاطىء فنظن أن مواجهة ١٩١٨ تبعها مباشرةً انفراج دائم وفورى فى العلاقات المتوترة بين الطبقة العاملة وكتلة البورجوازية . إذْ أدّت الأزمة الاقتصادية فى ١٩٢٠ وباكورة ١٩٢٢ والتى وصلت إلى ذروتها بمائة ألف من العمال العاطلين إلى مواجهة حادة أخرى بين اليسار واليمين .

فى أكتوبر ١٩٢١ طلب أحد أعضاء البرلمان الممثلين للفلاحين بوقف العمل بقانون الـ ٤٨ ساعة فى الأسبوع فى زمن الأزمات . وأعد مجلس الاتحاد مشروع قانون لهذا الغرض . وأعِدَّ مشروع قانون آخر بهدف تشديد القوانين التى تحمى أمن الدولة . وكان موجهًا أيضًا مثل القانون السابق ضد اليسار ولكنهما رُفِضا من الشعب عند الاستفتاء عليهما . لكن بالرغم من ذلك لم ينجح الاشتراكيون الديموقراطيون فى فَرْض مشاريعهم وتصوراتهم . وقدّموا اقتراحًا للاستفتاء عليه بأن تسدد الحكومة الفدرالية ما عليها من ديون الحرب بفرض الضريبة على أصحاب الثروات الكبيرة . ورُفض هذا الاستفتاء عند التصويت عليه بنسبة ٨ : ١ بالرغم من أن ذلك ما كان ليصيب إلا جزءًا ضئيلا من مجموع الشعب . كذلك خسر اليسار فى ١٩٢١ معركة استفتاء فيها يختص بالسياسة الجمركية حيث بدأ تنفيذ تعريفة جديدة ولم يستطع اليسار أن يعمل شيئًا سوى الاحتجاج الشفهى ضد تصرف المجلس الفدرالى الذى بدأ يعتاد على تجنب الاستفتاءات وأن يقدم مشاريع قوانين بدعوى أنها إجراءات طوارىء .

حقًا لم تنحسر موجة المواجهة بين اليسار واليمين إلا فى منتصف العشرينات عندما تحسّن الوضع الاقتصادى بشكل ملموس .

أزمة اقتصادية وأزمة سياسية

١ التنمية الاقتصادية فى فترة ما بين الحربين

أوقعت الأزمة الاقتصادية فى سنوات ١٩٢١ -١٩٢٣ بعض الصناعات التصديرية التقليدية فى مصاعب كبيرة، ثم ما كادت تستعيد قوتها خلال العشرينات حتى أصابتها فى ١٩٣٠ أزمة جديدة أشد وأقسى . وانكمشت الصادرات إلى ثلث مستواها السابق ، وقام أصحاب الأعمال بالاستغناء عن العمال بالجملة . وأصيبت *صناعة التطريز* بإصابة قاتلة ، تلك الصناعة التى كانت مزدهرة فى يوم من الأيام وتمثل ١٥٪ من إجمالى صادرات سويسرا قبل الحرب العالمية الأولى . كذلك تأثرت *صناعة الساعات* بشكل خطير بأزمة ١٩٣٠ - ١٩٣٦ بالرغم من حمايتها بواسطة اتحادات المنتجين الاحتكارية فى العشرينات .

أثبت إنتاج البضائع الاستثمارية أنه كان فى وضع أفضل من إنتاج البضائع الاستهلاكية . *إذ أن كهربة خطوط السكك الحديدية السويسرية* التى حدثت بشكل سريع فى العشرينات كَفَلت زيادة الطلب على *صناعة الآلات* بما حقق لها تفوقًا ملموسًا على منافستها الأجنبية . وتكوّن اتحاد للمنتجين بالنسبة *للصناعات الكيماوية* عبَّر عن نفسه فى ١٩٢٩ فى اتفاقية سويسرية ألمانية فرنسية ، وأُمْكِن بذلك التخفيف من حدة الأزمة فى هذا القطاع .

أصيبت *البنوك* فى مقابل ذلك بخسائر كبيرة إذ أنها منذ الحرب قامت باستثمارات كبيرة فى التجارة على النطاق الدولى . وأُعلن إفلاس الكثير منها .

وبالرغم من أن الصناعات التصديرية كانت تفقد أسواقها ، وتعانى من انخفاض عمالتها من سنة ١٩٣٠ ، إلا أن الوضع استمر طيبًا فى السوق الداخلية حتى ١٩٣٤ . يرجع الفضل فى ذلك أولا وقبل كل شىء إلى صناعة البناء التى كان عليها استيفاء طلب كبير عليها ، خاصة فى بناء الشقق السكنية بعد سنوات عديدة من الركود خلال فترة الحرب وما بعدها التى تميزت بالغلاء الشديد .

اتجه عشرات الألوف من العمال الذين لم يعودوا يجدون عملا يقومون به فى الصناعات التصديرية إلى صناعة البناء . لكن ذلك زاد من حدة النكسة التى تلت ذلك : ففى يناير ١٩٣٦ عندما تغلّبت معظم الدول المجاورة على الأزمة كان لا يزال فى سويسرا ١٢٤٠٠٠ عاطل (٧٪ من الشعب العامل ، بمتوسط سنوى ٩٨٠٠٠ عامل) ، نصفهم من عمال البناء .

وبالنظر إلى الأمر ككل فإن فترة ما بين الحربين تميزت *بنمو اقتصادى ضعيف* ، *وبالتحول من قطاع الإنتاج إلى قطاع الخدمات* . فكانت تنشأ سنويا فى فترة الـ ٢٥ سنة من الازدهار الاقتصادى فيما قبل الحرب العالمية الأولى ٨٠٠٠ وظيفة جديدة فى قطاع الصناعة . ثم نزل هذا المعدّل إلى متوسط ١٥٠٠ فقط من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٩ . وانخفض عدد *سكان الريف من الفلاحين* بسبب ثقل الدَّيْن الزراعى ، وركد القطاع الصناعى وكانت الزيادة الوحيدة التى تحققت هى الزيادة فى قطاع الخدمات ويرجع ذلك أساسًا وقبل كل شىء إلى التوسع فى تجارة التجزئة وقطاع البنوك .

٢ أزمة النظام السياسى وحركات التجديد الفاشية

حصلت الحكومة الفدرالية على سلطات إضافية من الناحيتين التنفيذية والإدارية أثناء الحرب العالمية الأولى ، ثم احتفظت الحكومة بهذه السلطات بعد انتهاء الحرب . ففى ١٩١٤ تنازل البرلمان عن حقه فى فرض الرقابة على السلطة التنفيذية إلى درجة كانت غير معهودة حتى فى الدول المتحاربة . واستخدم مجلس الاتحاد الكونفدرالى سلطاته المطلقة فى إصدار مراسيم لم تُرفع إلا تدريجيًا ، أو أعطيت لها صلاحيات دستورية بعد أن حلّ السلام . انتهت صلاحية آخر مراسيم الحرب هذه فى بواكير الثلاثينات ، لكن الحكومة حصلت ثانية فى تلك الفترة على سلطات مطلقة جديدة لمكافحة الأزمة الاقتصادية .



لافتة نقابية ضد تخفيض الأجور عام ١٩٣٣ . فنقابات العمال قاومت تخفيض الأجور فى الحرب العالمية الأولى وأيضا فى الثلاثينات وكان نجاحها متفاوتا فى ذلك . واللافتة من عمل أ . كاريجيه . ڤولفنسبرجر ، زيوريخ .



لافتة انتخابية ضد الشيوعية لحزب الأحرار المتطرفين عام ١٩٢٢ . كانت البورجوازية تثير خوف المواطنين من حدوث انقلاب حتى يسهل عليها أن تتخذ إجراءات خاصة لحفظ النظام والأمن . لكن مشاريع القوانين التى قُدِّمت فى ١٩٢٢ و ١٩٢٣ رُفضت من الشعب . دار نشر يِنْتسِيجَر ، زيوريخ .

كذلك عملت الحرب على زيادة قوة *الاتحادات الاقتصادية* . كما زاد عدد الممثلين المباشرين للمصالح الاقتصادية فى البرلمان مع تبنى نظام التمثيل النسبى . وقَوِى النفوذ الذى تمارسه مجموعات الضغط فى سن القوانين وتطبيقها . وأصبح دور *البرلمان* يتحول أكثر فأكثر إلى الدفاع عن الاتفاقات داخل هذه المجموعات ضد الدخلاء الغرباء . ونقد السياسيون الأحرار وكذلك المحافظون < تحوير السياسة إلى اقتصاد > والتى أدَّت إلى حرمان المواطن السويسرى من إبداء رأيه فى المواقف المصيرية .

أدى نشوب الأزمة الاقتصادية فى الثلاثينات إلى زعزعة هذا النظام السياسى القائم على ائتلافات واهنة بين المجموعات ذات المصالح المختلفة . وكان قادة هذه المجموعات يصلون إلى الاتفاق فيما بينهم قبل بدء المناقشات البرلمانية . وعانت الاتحادات الكبرى للاقتصاد من صعوبة الإبقاء على منظماتهم متحدة . وكثيرا ما حاولت المجموعات المتذمرة أن تحقق أهدافها بقوتها الذاتية ، وأن تلقى جانبا بالاتفاقات المعقودة بين المنظمات الرئيسية . *فرُفِض مثلا التأمين ضد الشيخوخة* فى ١٩٣١ بالرغم من أن جميع الأحزاب والاتحادات سبق لها أن اتفقت عليه من قبل .

عانى النظام السياسى من عدم وضوح أدى إلى أن تتحول الأزمة الاقتصادية سريعا إلى أزمة سياسية أيضا . كانت التيارات الفاشية كامنة فى سويسرا منذ الإضراب العام فى ١٩١٨ ، ثم حصلت على قوة دافعة عندما وصل *النازيون إلى السلطة فى ألمانيا* سنة ١٩٣٣ . وانبثق فى سنة ١٩٣٣ ما عُرِف باسم < *الجبهات* > مثل الفطر يخرج من الأرض فجأة وبسرعة . ونسجت دوائر الطبقات الوسطى ودوائر المحافظين اليمينيين الخطط لإعادة تشكيل الدولة والمجتمع على أساس حصر السلطة العليا فى هيئة واحدة متحدة مؤلفة من نقابات العمال وأصحاب العمل وطالبوا بعمل استفتاء على القيام بتعديل شامل للدستور .

وجهت < *حركات التجديد الفاشية* > نيرانها ضد مجلس الإتحاد وضد البرلمان . وبالرغم من أنها مررت عدة مرات قوانين غير شعبية دون عمل استفتاء عليها وصلت فى تلك الفترة وحدها ما بين ١٩٣٠ و ١٩٣٨ إلى ٩١ قانونا من هذا النوع يصل بعضها إلى مدى بعيد جدًا ، فإن السلطات الفدرالية كانت متهمة بالتلكؤ ، وعدم الكفاءة القيادية ، والمهادنة الفاسدة . وتعاطفت حتى الاتحادات الاقتصادية الكبرى مثل اتحاد الصناعات الحرفية مع حركات الطبقة الوسطى الفاشية ، التى كانت تطالب بفرض نظام جديد فى الحياة السياسية للبلاد . ووصل الأمر بزعيم الفلاحين لور الذى كان يكافح ضد انقسام داخل صفوفه أن أعلن عبارته المصيرية : < إن الحفاظ على الفلاحين كطبقة أهم فى النهاية من الحفاظ على الديموقراطية > .

على أى حال لم تستطع حركات التجديد الفاشية فى الثلاثينات من أن تفرض أهدافها ، إذ واصل الأحرار المتطرفون والاشتراكيون الديموقراطيون نضالهم ، ورفض الشعب بأغلبية ساحقة الاستفتاء الذى يطالب بإجراء تعديل كامل للدستور . ثم أدّى تخفيض الفرنك السويسرى فى سنة ١٩٣٦ إلى *التغلب على الأزمة الاقتصادية* ، ومكنّت صناعة التصدير السويسرية من أن تدخل منافسة فى حركة التجارة العالمية التى ازدهرت فى الثلاثينات ويحـركها سبـاق التسلح . وتسبّب *التهديد* بنشوب حرب بين *الدول الديكتاتورية* والدول الديموقراطية فى أن تبتعد الكتل العريضة من الشعب السويسرى عن الجناح اليمينى الفاشى .

٣ سويسرا والمقاومة ضد الفاشية

كتب هانس *أوپرخت* (١٨٩٤ - ١٩٦٤) رئيس الحزب الاشتراكى الديموقراطى بعد سنة من وصول هتلر إلى السلطة : < مضى زمن المعارضة المكابرة ، والإثارة العمياء بالنسبة لحركة العمال فى البلاد التى ما زالت لها فيها أحزاب ونقابات > .

حقًا إن منتصف الثلاثينات كان فترة تحول سريع فى البرامج السياسية للتنظيمات العمالية . كان الحزب الاشتراكى الديموقراطى فى ١٩٢٠ لا يزال يبرز ويؤكد فى برنامجه بعد قطع علاقاته مع *الدولية الثالثة الشيوعية* < استمرار الصراع الطبقى بين البورجوازية والطبقة العاملة حتى فى ظل الظروف الديموقراطية > ، كما حدد أن هدفه النهائى هو تحقيق < ديكتاتورية البروليتاريا > ، لكنه ساهم فى الانتخابات ، والمبادرات السياسية ، والاستفتاءات فى الحياة السياسية اليومية مثل الأحزاب الأخرى . استخدمت نقابات العمال قوتها التى تزايدت منذ الإضراب العام أساسًا لكى تبرم اتفاقيات جماعية مع تنظيمات أصحاب الأعمال ، وتقف على قدم المساواة مع الاتحادات الاقتصادية البورجوازية عند تعاملها مع الدولة . كذلك أخذت تبتعد أكثر وأكثر عن شعارات الصراع الطبقى التى كانت سائدة فى السنوات السابقة . وحيثما كان لا يزال يوجد جناح متطرف سواء فى الحزب أو نقابات العمال فإن المعارك العنيفة كانت تُشن ضد الشيوعيين الذين كان عددهم قليلاً ، وتُزيد من ضعفهم . وجاء خطر الفاشية المتزايد الذى أخذ يظهر فى سويسرا وخارجها ، ومع هذا الخطر اتُخِذت الخطوة التى طال انتظارها : *إذ تبنى الحزب الاشتراكى الديموقراطى السويسرى فى ١٩٣٥ برنامجا جديدا يعترف بالديموقراطية البورجوازية وبالدفاع العسكرى عن البلاد .*

أخذت نقابات العمال تعمل بوعى على التعاون مع *الطبقات الوسطى* . وطالبت *مبادرتهم السياسية الخاصة بالأزمة الاقتصادية* فى سنة ١٩٣٤ التى قاموا بها متحدين مع عصبة شباب الفلاحين ومع تنظيمات الموظفين التراجع عن سياسة تخفيض العملة المتداولة : فبدلاً من تخفيض الأجور والأسعار ، تُرفع القوة الشرائية للعمال والموظفين عن طريق توفير الوظائف ، وتخفيض ساعات العمل ، والتنازل عن ديون الفلاحين . لكن هذه المبادرة رُفِضت عند الاستفتاء عليها بأقلية ضئيلة . وأُبرم فى ١٩٣٧ ما عُرف باسم < *اتفاقية السلام* > بين الاتحاد الصناعى القوى لأصحاب الأعمال مع أكبر نقابة عمالية سويسرية هى اتحاد عمال الصناعات المعدنية

والساعات التى تضم ٦٠٠٠٠ عامل ، ونصت على أن جميع النزاعات يجب تسويتها بالاتفاق ، دون الالتجاء إلى وسائل الصراع العنيفة . *وأصبح هذا العقد الذى تجدد عدة مرات منذ ذلك الوقت نموذجا تحتذيه العقود الأخرى التى نظمت العلاقات بين رأس المال والعمل فى سويسرا .*

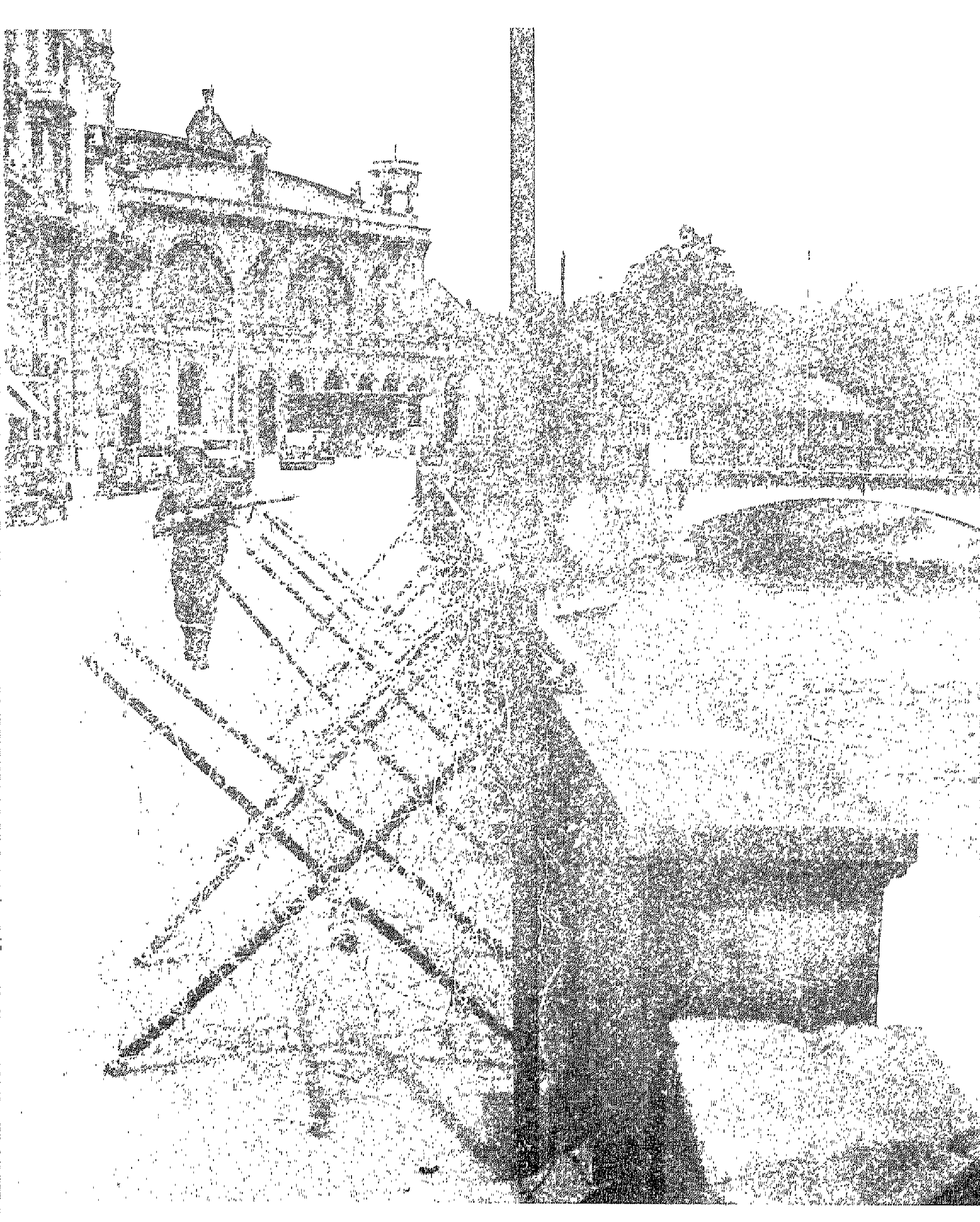
لا يجب أن يُفهم من ذلك أن الاتجاه الجديد لنقابات العمال وللحزب الاشتراكى الديموقراطى فى الثلاثينات ليس إلا *اتفاقًا وطنيًا* مع البورجوازية لمواجهة خطر الفاشية المتصاعد ، إذ أنه يمثل أيضا *العبور الحاسم من الأيديولوجية الثورية إلى الأيديولوجية الاشتراكية الإصلاحية فى الحركة العمالية السويسرية ، وتكامل تنظيماتها مع المجتمع البورجوازى .* وكان المعرض الوطنى الذى أقيم فى زيوريخ عام ١٩٣٩ هو التعبير البليغ عن هذا الوعى الوطنى الجديد الذى شمل جميع الطبقات الاجتماعية فى سويسرا . وكان هناك قبول عام لمفاهيم وقِيَم أيديولوجية الطبقة الوسطى شجَّع عليها بشكل كبير تهديد الحركتين النازية والفاشية شمال وجنوب البلاد .

عيد الشكر بمناسبة الحصاد الذى نظمه الحزب النازى فى زيوريخ فى ١٩٣٥ . فالألمان الموجودون فى سويسرا وكذلك المتعاطفون معهم من العناصر المحلية كانوا نشطين فى دعايتهم للنازية . ولم يحصل أى تنظيم سويسرى على أهمية سياسية كبيرة لكن هذه التنظيمات متضامنة مع المجموعات النازية كانت تمثل تهديدا لا يمكن التقليل من شأنه . كان هناك حوالى ٤٠٠٠ عضو مسجل فى الحزب النازى فى بازل وحدها . مؤسسة *التصوير ، زيوريخ .*

العاطلون ينتظرون إعانة البطالة . وَصَل عدد العمال العاطلين إلى الذروة أثناء الأزمة الاقتصادية فى الثلاثينات إلى ما يزيد عن ٩٣٠٠٠ فى ١٩٣٥ . وأثَّرت هذه السنوات الصعبة بشكل حاسم على تفكير وتصرف جيل كامل من السويسريات والسويسريين . تصوير : *رولانْد جْريتْلَرْ ، أرشيف الصور والتوثيق لتاريخ الحركة العمالية ،* زيوريخ .

لم تُفاجأ سويسرا بنشوب الحرب . كان يوجد منذ ١٩٣٨ *تنظيم من تنظيمات الظل لاقتصاديات الحرب* ، يمكن دعوته فورًا ليؤدّى واجباته . وأُقِرَّ من ١٩٣٩ تشريع يختص *بضمان الأجور والدخول* للعمال والموظفين والعاملين فى المهن الحرة المستقلة عندما يُدْعَوْن للخدمة فى الجيش . كذلك لم يرتفع الغلاء ولا حتى إلى نصف ما كان عليه فى الحرب العالمية الأولى بفضل الإجراءات الحازمة التى اتُخِذت لخفض الأسعار ، وترشيد الإنتاج . وتحسَّنت الإعانات التى تُدفع للعائلات كما زادت مدفوعات التأمين ضد البطالة . ويمكن اعتبار انتخاب *إرْنْسْت نوبْس* (١٨٨٦ ـ ١٩٥٧) كأول عضو اشتراكى ديموقراطى للمجلس الاتحادى بمثابة رمز للوحدة الوطنية فى مواجهة التهديد العسكرى .

كان الضغط الخارجى أكبر بكثير مما كان عليه فى الحرب العالمية الأولى ، إذ كان لألمانيا النازية خططًا عسكرية لاحتلال سويسرا . ووجدت سويسرا نفسها محاصَرَةً من قوات المحور بعد سقوط فرنسا فى ١٩٤٠ . كان تهديدا خطيرا لا يمكن تصوره لكن السويسريين كانوا مستعدين للدفاع عسكريا عن استقلال بلادهم . حقا سبق للدول الأوربية عند اندلاع نيران الحرب أن اعترفت *بالحياد المسلح* لسويسرا ، لكن النازيين لم يخفوا نواياهم العدوانية تجاه هذه الدولة الصغيرة التى تكذِّب بتعدد واختلاف ثقافاتها فلسفتهم ودعايتهم القائمة على العنصرية . وبلغ الخطر ذروته فى ١٩٤٠ عندما ظهر اتجاه نحو التهدئة مع سادة أوربا الجدد من بعض القادة السياسيين . وأجْبَرَ الضغط الألمانى السياسى والعسكرى أن تعمل سويسرا تهادنات تسببت فيما بعد فى مناقشات خلافية كبيرة : عندما حاولت الرقابة وقف ما تكتبه الأقلام من ملاحظات مزعجة ضد النازية . كذلك أصبح منح حق اللجوء السياسى مقيدًا جدًا بناء على رغبة الألمان ، وتكلم أحد أعضاء مجلس الاتحاد وكذلك عدد من الموظفين الكبار علنًا عن الحاجة الملحة إلى السير مع اتجاه الريح والتكيف مع



عوائق للطرق بعد هزيمة فرنسا إذ أن سويسرا كانت فى ذلك الوقت محاصرة من قوتى المحور : ألمانيا وإيطاليا . *المكتبة الكونفدرالية العسكرية* ، بِرْن .

الوضع الجديد . أمام ذلك جمع *الجنرال هنرى جيزان* وهو من القو (١٨٧٤ ـ ١٩٦٠) ضباطه فى مَرْج روتْلِى[1] وأصدر نداء وجهه إلى إرادة *الدفاع للجيش والشعب* . ولم يكن هناك موضع أفضل من ذلك المكان التاريخى الذى سبق أن أُعلِن فيه قيام دولة سويسرا مما ساعد على تقوية إرادتها لحماية استقلالها الأمر الذى كان يجسِّمه هذا الجنرال العسكرى شخصيا . *كان موقف سويسرا فى الحرب العالمية الثانية خليطًا من التواؤم التكتيكى مع الظروف وإظهار عزم وتصميم واستعداد البلاد على الدفاع عن نفسها عسكريا* . لكن مما لا شك فيه أنه كانت هناك أيضا مصالح استراتيجية واقتصادية لدول المحور حفظت دولة سويسرا الصغيرة من مأساة الحرب .

تَرَك الدفاع عن أرض الوطن كما تَركَت < التعبئة العسكرية الفعلية > فى السنوات من ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ أثرًا عميقًا فى وعى الجيل الذى عاصر الحرب . وكان من حظ سويسرا أن تصون نفسها مرة أخرى من الحرب فى الوقت الذى سقط فيه الملايين من الناس صرعى فى ساحتها .

فى مواجهة المشاكل اليومية والمستقبل غير المضمون لم يكن يوجد إلا بالكاد مَنْ يتساءل فى سنة ١٩٤٥ لماذا وكيف خرجت سويسرا غير مصابة من الحرب العالمية . ففترة الحرب لم تُدرس إلا خطوة خطوة ، وبشكل متردد . ربما وجد التاريخ الأكاديمى لهذا السؤال طريقه إلى الكتب المدرسية ، لكن المجتمع السويسرى لم يشغل نفسه إلا هامشيا بالموضوع . وتدعمت فى مناخ الحرب الباردة وجهات النظر التى تمجد هذه الدولة الصغيرة المحايدة المستقلة . ومع ذلك فهناك فصل خاص غير مشهور يتعرض للسياسة التى كانت متبعة بالنسبة للاجئين فسويسرا آوت بالفعل خلال سنوات الحرب حوالى ٣٠٠٠٠٠ لاجىء ـ منهم ٣٠٠٠٠ يهودى . ومع ذلك فان عدد مَنْ استطاع أن يلتجىء من اليهود إلى سويسرا كان قليلا . من المعروف أن ٢٥٠٠٠ منهم رُدُّوا عند الحدود ، أما بالنسبة للعدد الفعلى للاجئين الذين رُدُّوا فهناك عديد من الآراء . بذلك حَرمَت سويسرا من الحماية إلى حد بعيد تلك المجموعة الأكثر اضطهادا من بين

---

(١) بإمالة الواو إلى الياء .

المجموعات الباحثة عن اللجوء . ويمكن أن نجد أسباب ذلك فى تفشى معاداة السامية فى سويسرا الذى بلغ ذورته بشكل عام فى خوف استشرى من < التغريب > وتهديد الأصالة السويسرية . وأدرج اليهود خاصة بشكل عنصرى على أنهم < أجانب > فى أصلهم و < غير قابلين للإندماج فى المجتمع > . ودَفَعت الاشتراكية الوطنية ومعاداة السامية كل أوروبا فى اتجاه الكارثة ـ ولم تكن سويسرا استثناءً . علاوة على ذلك كان هناك جهل واسع خلال الحرب فيما يختص بمآسي وأقدار طالبى اللجوء .

من البداية أظهرت سويسرا رسميًا عدم عطفها الشديد على اللاجئين اليهود . وطالب الاتحاد الفيدرالى فى ١٩٣٣ بوجوب أن تكون هناك ملاحقة سياسية أيضا إلى جانب الملاحقة العنصرية خوفًا من أن يتمكن اللاجئون اليهود من التحايل على < التغريب > .

لم تعرض سويسرا نفسها عليهم إلا أن تكون بالنسبة لهم بلد ترانزيت ـ أى عبور ـ عليهم أن يرحلوا عنها بأسرع ما يستطيعون . وفى سنة ١٩٣٨ كان يُكتب فى جوازات سفر اليهود الألمان حرف ى أى < يهودى > . جاء ذلك نتيجة لإلحاح سويسرا حتى يمكن التفرقة بين ما يدعى باللاجئين < الآريين > واللاجئين اليهود . ومنذ وقت مبكر عرفت الجهات الحكومية السويسرية بأمر النفى إلى معسكرات الاعتقال والقتل الجماعى . ثم جاءت علاوة على ذلك فى سنة ١٩٤٢ تعليمات بأن < اللاجئين لأسباب عنصرية > ليسوا < بلاجئين سياسيين > ويجب ردهم . فقط فى صيف ١٩٤٤ اعترف الاتحادى الفيدرالى باليهود كلاجئين سياسيين . وفى الوقت الذى بررت فيه سويسرا رسميًا أسباب سياستها الخاصة باللاجئين إلى أنَّ < قارب الانقاذ كان كامل العدد > فإنه كان لايزال يوجد فى سويسرا أناس ملتزمون يناضلون ضد سياسة الالتجاء المحدودة للاتحاد الفيدرالى لكن الغالبية العظمى من الشعب سكتت ـ ولم يأت التحول فى سياسة الالتجاء إلا بعد فوات الأوان .

لماذا بقيت سويسرا جزيرة محمية فى أوربا التى مزقتها الحرب ؟ هذا سؤال يتبع الأسئلة الأخرى . ولا يمكن الإجابة عنه برد واحد فقط .

فهناك مجموعة من العوامل يمكن أن تكون لعبت دورًا فى أن يمتنع هتلر عن غزو سويسرا :

أحد هذه العوامل كان الناحية العسكرية : فقوة الروح العسكرية لهذه الدولة الصغيرة لم تكن ذات شأن كبير خلال الحرب وعندما بلغ تهديد جيش هتلر ذُرَاه بعد هزيمة فرنسا فى ١٩٤٠ قامت قيادة الجيش السويسرى بتسريح الجزء الأكبر من الجيش ليعود الجنود إلى بيوتهم . وانكمش الجيش السويسرى فى تحصينات الألب فكان من الممكن عند حدوث هجوم عام أن تصبح مدن سويسرا الوسطى بمنشآتها الصناعية ومعها جزء كبير من الشعب هدية للمعتدين .

وبهجوم هتلر على الاتحاد السوفيتي أصبحت قوات الجيش الألمانى بعد ١٩٤١ محجوزة بالدرجة الأولى فى الجبهة الشرقية ـ وخفَّ الضغط العسكرى على سويسرا . وإذا ما كانت قوة الردع العسكرية لسويسرا مثار شك ، فإنه يمكن القول بأن البلد بدون جيش تحولت بالنسبة لهتلر إلى كرة يلعب بها .

وتبدو شبكة المواصلات خلال جبال الألب ذات أهميه قصوى . فهى شكلّت همزة وصل بين دولتى المحور ألمانيا وإيطاليا . ومع ازدياد طول مدة الحرب ازدادت على الدوام أهمية هذه الاتصالات الحرة حيث أنها كانت بفضل الحياد والحراسة محمية من قنابل الحلفاء . ولم تستجب سويسرا إلا مترددة لضغط الحلفاء الذين كانوا يعتبرون أن الترانزيت يمثل أحد المنغِّصات الكبرى لهم . وعليه كانت سويسرا كبلد ترانزيت غير محتلة ميزة لدولتى المحور .

كان دورًا هامًا ذلك الذى لعبته سويسرا كساحة صناعية وتجارية للاقتصاد الألمانى وصناعته الحربية . ومنذ صيف ١٩٤٠ أُدمجت سويسرا المحاطة من دولتى المحور إمكاناتها التصديرية مرغمةً فى الاقتصاد الألمانى . فكانت سويسرا تنتج الأسلحة والذخائر والبضائع الحربية الهامة الأخرى لألمانيا كما كان يجب عليها أن تمولها جزئيا بقروض كثيرة مقدمًا . وفى مقابل ذلك حصلت سويسرا على مواد خام وغذائية هامة .

بالإضافة إلى ذلك كانت أهمية سويسرا كمكان مالى وبنكى فكان من المهم لكل من الحلفاء والدولة النازية المعزولة عن السوق العالمية الحرة وجود مكان مالى محايد ومستقل لتغطية الاحتياجات من العملة الصعبة .

وبالنسبة لاقتصاد النهب الذى كان الرايخ الثالث يقوم به فى القارة الأوروبية فإن

سويسرا كانت هى العجلة الدوَّارة ذات الأهمية الخاصة لغسل الذهب المسروق : فكان الرايخ يشترى فيها كان يدعى بالصفقات الثلاثية الأركان المواد الخام الحربية الهامة فى السوق العالمية مسددة ثمنها بالعملة الوحيدة القابلة للتحويل فعلا ألا وهى الفرنك السويسرى . ثم تقوم البنوك الوطنية للبلاد المصدرة بشراء نفس الذهب فى سويسرا الذى كان الألمان اشتروا به الفرنكات . وبالرغم من أنه كان من المعروف فى سويسرا أن الأمر يتعلق بذهب مسروق ، فإن البنك الوطنى قاوم بمساندة الاتحاد الفيدرالى حتى فى سنة ١٩٤٤ القيام بأى تخفيض جديد لكميات الذهب الذى كان يتسلمه .

كانت لسويسرا كعجلة دوَّارة دولية أهمية أبعد من ذلك غالبا مالم يكن يعترف بها إلا قليلا . فهذه الدولة المحايدة كانت مطلوبة من القيادة الحربية لكلا الجانبين باعتبارها مكاناً يوفر الأخبار ومكانًا لإعادة التصدير . وأخذت البلاد على عاتقها بصفتها < دولة تحت الحماية > الواجب الفنى الهام لعمل اتصال للطوارىء بين الدول المتحاربة .

يتبين من ذكر هذه النقاط أنه لم يكن ارتفاع ثمن التدخل العسكرى هو الذى لعب دورا حاسمًا فى عدم اهتمام النازيين بالهجوم على سويسرا . فهتلر كان يفضل سويسرا سليمة ، رسمية ، مستقلة . ويرى أنها أفيد من سويسرا تابعة أو مندمجة فى ألمانيا العظمى . لهذا أصاب الضرر بلا شك مظهر الحياد السويسرى . وإن مناقشة مدى ضرورة التعاون فى ذلك الوقت مع ألمانيا النازية لاستمرار حياة سويسرا ، ومدى استسلامها عن خوف منها أو أن موقفها كان دعمًا خالصًا لها لهو موضوع سوف يشغل من جديد كتابة التاريخ والمجتمع فى زمن قريب .

١ إندماج بطيء في المجتمع العالمي

لم تبدأ فترة ما بعد الحرب في سويسرا بعد ١٩٤٥ فقط ، بل ظهرت بوادرها بالفعل منذ ١٩٤٣ عندما اتضح انهيار ألمانيا النازية لتبدأ مناظرة حامية عن نظام ما بعد الحرب : فأراد البعض إعادة مجتمع ما قبل الحرب ، بينما دافع آخرون عن مجتمع جديد به < مزيد من الاشتراكية >و< رأسمالية > أقل . لكن ذلك كله لم يؤدِّ إلى نتائج بعيدة المدى ، ولم يلبث أن أزاحه الواقع جانبًا .

هبطت في نهاية الحرب العالمية الثانية سُمعة سويسرا وسياستها الحيادية إلى الحضيض إذ انتقد الحلفاء الغربيون علاقاتها الوثيقة المستمرة مع ألمانيا النازية ، وهددوا بمقاطعتها اقتصاديا . كما لم يمكن تطبيع علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية إلا بعد مفاوضات مضنية (اتفاقية واشنطن لسنة ١٩٤٦) . وكان مما ساعد في انعزال سويسرا أنه لم تكن لها علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي ، حيث أن هذه العلاقات كانت مقطوعة منذ الثورة الروسية . ثم رفض الاتحاد السوفييتي في ١٩٤٤ المحاولة الأولى لإعادتها بجفاء ، لكن المفاوضات تجددت بعد أن نجحت سويسرا بطلب من موسكو في أن تنظمّ بنجاح عودة المعتقلين الروس الأمر الذي أدَّى إلى استئناف العلاقات الدبلوماسية في ربيع ١٩٤٦ .

خرجت سويسرا نتيجة لذلك من عزلتها واندمجت في نظام ما بعد الحرب الغربي الذي تهيمن عليه أمريكا . وقدَّمت مساعداتها لجيرانها الذين أضرَّت بهم الحرب من أجل إعادة البناء وأعلنت سياستها الخارجية تحت شعار < الحياد والتضامن > .

لكنها بقيت متحفظة في مجال العلاقات السياسية الخارجية كما كان العهد بها دائما . فلم تنضم إلى هيئة الأمم المتحدة ، إلا أنها أقامت في ١٩٤٨ تمثيلا دائمًا للرقابة . كما استطاعت سويسرا عن طريق التفرقة بين دور هيئة الأمم المتحدة السياسي ودورها الفني أن تساهم في تنظيمات وبرامج خاصة لهيئة الأمم المتحدة .



يشكل الأجانب فى سويسرا مجموعة اجتماعية ، بقيت إلى حد بعيد بدون حقوق سياسية . وهم يؤدون أعمالاً منخفضة الدرجة ولا تحتاج إلى مهارة . ولكن ماكان من الممكن بدون هذه القوى العاملة الأجنبية أن يستمر عمل العديد من المؤسسات الاجتماعية وغيرها . فالكناسون للشوارع وعاملات النظافة والخدمة فى البيوت والمستشفيات غالبًا مايكون القائمون بها من الأجانب ، وتصل نسبتهم فى أعمال الفندقة السويسرية إلى ٧٠ ٪ . سوننبورجر ، زيوريخ .

وأصبحت جنيف التى كانت أصلا مقر عصبة الأمم ، المقر الأوربى لهيئة الأمم المتحدة .

فى ١٩٤٨ حدث تغير مفاجىء فى المناخ السياسى مع الانقلاب الشيوعى فى براغ وحصار برلين . كما أدّى نشوب الحرب الكورية فى ١٩٥٠ إلى زيادة حدة الاستقطاب فى الحرب الباردة بين الغرب والشرق . الأمر الذى عزّز من أهمية دور سويسرا الحيادى ، التى دأبت على أن تعرض < خدماتها الطيبة > كما فى بعثة كوريا فى ١٩٥٣ . ثم عندما أنهى فيما بعد < مؤتمر التأمين والتضامن فى أوربا > فى الستينات المناخ المتجمد بين الكتلتين ، قامت سويسرا ومعها دول أخرى من التى لم ترتبط بأحلاف بدور نشيط وفعّال فى الوساطة .

كذلك بقيت البلاد متحفظة فيما يختص بمجهودات التكامل الأوربى ، وبسبب حيادها وتمسكها بسيادتها لم تنضم أولا وقبل كل شىء إلى المجلس الأوربى عند تأسيسه فى ١٩٤٩ ، كما أنها لم تصبح عضوا فى منظمة الفحم والصلب الأوربية التى تأسست فى ١٩٥١ أو السوق الأوربية المشتركة التى تأسست فى ١٩٥٧ ودخلت فى ١٩٦٠ بدلا من ذلك مع عدد آخر من الدول الأوربية فى منظمة التجارة الحرة < الإفتا > التى لم تكن تعمل من أجل الوحدة السياسية .

فقط فى الستينات أدّى التغير فى الظروف الدولية إلى انفتاح سويسرا بشكل بدا بطيئًا حقا ، لكنه كان مستمرًا : ففى ١٩٦٣ انضمت إلى المجلس الأوربى ، وفى ١٩٦٦ أصبحت عضواً كاملاً فى الجات ، وفى ١٩٧٢ وافقت أغلبية الأصوات على عقد اتفاقية تجارية مع السوق المشتركة ، وأثيرت أيضا فى ١٩٦٧/٦٩ المناقشات التى تناولت موضوع انضمام سويسرا إلى هيئة الأمم المتحدة . أصبحت البلاد أنشط بشكل عام : فمدَّ مجلس الاتحاد مجال سياسته الخارجية عن طريق سياسة حياد أكثر فعّالية : فمنذ ١٩٧٣ أصبح لدى سويسرا وحدة تخفيف عن منكوبى الكوارث ، وفى ١٩٨٩/٩٠ وصلت إلى ناميبيا وحدة صحية سويسرية لتؤدى دورها لأول مرة خارج البلاد . وفى ١٩٩٠ أثناء أزمة الكويت انتظمت سويسرا فى نظام التأمين الجماعى

لهيئة الأمم المتحدة وانضمت إلى الحصار المفروض ضد العراق . وفى ١٩٩٢ انضمت البلاد إلى صندوق النقد الدولى والبنك الدولى .

لكن مجهودات الإندماج هذه صاحبتها نكسات أيضا . ففى ١٩٨٦ رَفَض الاستفتاء الشعبى عضوية البلاد فى هيئة الأمم المتحدة بـ ٧٥,٧٪ من الأصوات ، ولا يبدو أن هذا الرفض يعبر عن موقف سياسى خارجى معين ، وإنما كان بالأحرى رد فعل لمخاوف كامنة من السيطرة الأجنبية وتعبيرا عن عدم رضاء عام . كانت الدوافع مشابهة كذلك عند التصويت على الاشتراك فى المنطقة الاقتصادية الأوروبية فى ١٩٩٢ عندما رفضتها أغلبية ضئيلة . إن حق الشعب فى إبداء رأيه فى أمور السياسة الخارجية (توسيع الاستفتاء على اتفاقيات الدولة ١٩٧٧) لهو من خصائص النظام السويسرى ، لكنه مع ذلك يعقد السياسة الخارجية ويؤدى إلى إثارة نزاعات جديدة فى السياسة الداخلية .

وتجد سويسرا التى تحوطها الأرض من جميع الجهات بعض الصعوبات أحيانا فى الاهتمام بالعالم الثالث ، بالرغم من علاقاتها التجارية العالمية الواسعة . ثم حدث تغير تدريجى بعد الحرب العالمية الثانية ، وظهرت المبادرات الخاصة فى أعمال التنمية التى لم تلبث الدولة أن انتهجتها وتتبعتها . وكان إنشاء الوكالة السويسرية للتعاون والتنمية فى ١٩٦١ ، والموافقة على اعتماد لمدة ثلاث سنوات بمبلغ ٦٠ مليون فرنك مَعْلَمين هامين من معالم الطريق . وامتد نشاط هذا الاتجاه الجديد للتعاون فى التنمية والمساعدة الانسانية متضامنًا مع المؤسسات الخيرية الخاصة . فبدأت أولى المشاريع الثنائية مع نيبال ورواندا والهند . وفى ١٩٧٦ تحقّق الأساس القانونى للتعاون من أجل التنمية . على أى حال رُفض فى استفتاء شعبى ونفس السنة إعطاء قرض إلى منظمة التنمية الدولية . ومع ذلك زادت المبالغ الممنوحة لمساعدات التنمية بشكل مستمر من ١ مليون فرنك فى ١٩٥١ إلى ٣٨ مليون فى ١٩٦١ إلى ١٣٠ مليون فى ١٩٧٠ إلى ٤١٢ مليون فى ١٩٨٠ ، إلى ٩٩٣ مليون فى ١٩٩٠ . لكن تبقى إحدى الخصائص الجوهرية فيما يختص بعلاقات سويسرا مع بلدان العالم



اتخذ عمل جزء كبير من الشعب السويسرى وجها جديدا : فنمو قطاع الخدمات ، وزيادة الميكنة الآلية للمنتجات الصناعية والتقسيم العالمى للعمل يتسبب فى وجود تناقض فى الاقتصاد السويسرى بين < المصالح الصناعية >و <المصالح المالية > . كويت ، زيورخ .

الثالث وهى تباعد المسافة بين أهمية الروابط الاقتصادية والنسبة الضئيلة من المصروفات العامة المخصصة للمعونة (٣٠,٠٪ من إجمالى الإنتاج القومى فى ١٩٩٠) بالمقارنة مع الدول الصناعية الأخرى .

بانهيار الحكومات الشيوعية فى بلدان شرق ووسط أوربا أصبحت المساعدات هنا أيضا ضرورية . فأقر مجلس الاتحاد فى ١٩٩٠ قرضا مبدئيا بمبلغ ٢٥٠ مليون فرنك لمساندة الإصلاحات فى هذه البلدان ـ ثم توالت قروض أخرى بعد ذلك .

٢ الازدهار الاقتصادى وإقامة دولة الرفاهة

بعد الحرب كان هناك خوف مثلما كان الأمر فى ١٩١٨ من أن تنزلق البلاد إلى أزمة . ولكن العكس هو الذى حدث ، إذ شهدت سويسرا مرحلة تاريخية فريدة من النمو ، وكانت أسباب ذلك عديدة : فسويسرا التى كانت مصانة من ويلات الحرب كان تحت تصرفها جهاز إنتاج سليم واحتياطى كبير من رأس المال وضرائب منخفضة ومصروفات اجتماعية قليلة وأيضا مناخ اجتماعى سياسى طيب ، كان موجودا بالفعل من قبل الحرب (مثلا اتفاقية السلام لسنة ١٩٣٧ فى صناعة المعادن) . كما أن الإندماج السريع فى النظام الاقتصادى للدول الغربية ، لهو تفسير آخر لهذه الحالة الاقتصادية المواتية عندما ارتبطت سويسرا فى ١٩٤٨ بمنظمة التعاون الأوربى التى خرجت من مشروع مارشال .

ثم كان هناك حدثان يمثلان نقطة تحول فى مجال السياسة الداخلية فى ١٩٤٧ هما الموافقة على البند الاقتصادى (بإنشاء سلطة اتحادية سياسية اقتصادية) والتنظيم القانونى للتأمين على المسنين والمتروكين بغير عائل . ثم أضيف إلى ذلك فى ١٩٦٠ التأمين ضد العجز . وفى ١٩٧٢ تقرر فى استفتاء شعبى بناء هيكل العناية بالمسنين بإنشاء مشروع المعاشات الإجبارى أو ما يُدعى بالركن الثانى . وأصبحت البلاد دولة رفاهة حديثة استطاعت أن تحقق نظرًا للنمو الاقتصادى الهائل فيها بمتوسط يقرب من



لافتة انتخابية من سنة ١٩٤٧ تطالب بالتأمين ضد الشيخوخة ، باعتباره أكبر وأهم خطوة لتحقيق مجتمع الوفرة والرخاء . اللافتة من عمل هانس إرنى . ڤولفنسبرجر ، زيورخ .

٥٪ فى الخمسينات والستينات أهدافًا سياسية اجتماعية مختلفة .

شهدت حركة البناء ازدهارا هائلا بفضل تدفق القوى العاملة الأجنبية . وحتى حلول أزمة السبعينات زاد الحجم الفعلى لعقود البناء خمسة أضعاف . ونشأت فى صناعات التصدير الكيميائية وفى صناعة الماكينات وإعداد المواد الغذائية شركات ذات صيت عالمى بالرغم من أن كثيرا من هذه الشركات لا تحتفظ فى سويسرا إلا بمراكز أبحاثها ومقارها الرئيسية . إذ تحوّل الجزء الأكبر من الإنتاج إلى خارج البلاد . وأصبح أربعة من كل خمسة أماكن عمل فى أكبر ١٥ شركة سويسرية موجودة خارج سويسرا .

لم يتخذ تصدير رؤوس الأموال نسبًا معروفة أبدًا : كانت سويسرا فى ١٩٧٣ فى المركز الرابع فى القائمة العالمية للاستثمارات المباشرة الخارجية ، ولم تتفوّق عليها إلا استثمارات الولايات المتحدة وفرنسا وإنجلترا خارج البلاد . وكان لصالح قطاع البنوك ما يزيد عن ٢٥٠ مليار فرنك فى الخارج نصفها تقريبا إلا قليلا أموال أجنبية مودعة فى البنوك السويسرية فى الخارج . وأخذ الرخاء فى سويسرا يعتمد على البلاد الأجنبية أكثر مما كان فى أى وقت مضى . وارتفعت نسبة صافى الإنتاج القومى الذى يُحصل عليه من خارج البلاد إلى ٤٤٪ . أو بصيغة أخرى : إن كل ثانى سويسرى تقريبا كان يعيش فى ١٩٧٣من دَخْل وأرباح يُحصل عليها من الخارج . ولا يبدو أن هناك ثمة دولة أخرى فى العالم بها مثل هذا المستوى العالى من التدويل الصناعى .

استمر تحول الهيكل الوظيفى بعد الحرب وبسرعة فى غير صالح الاقتصاد الزراعى . فإذا ما كان هناك حوالى ٢١٪ يعملون فى المجال الزراعى فى ١٩٤١ ، أصبحوا ٨٪ فى ١٩٧٠ ، فإنه لم يتبقَّ منهم غير ٤,٢٪ فى ١٩٩٠ إن القطاع الصناعى نما أساسًا وقبل كل شىء بفضل نمو عريض حدث فى فترة الازدهار الاقتصادى ليصل فى ١٩٦٥ إلى ٤٨٪ ثم انخفضت الأرقام بعد ذلك . وفى النصف الأول من السبعينات انطلق قطاع الخدمات وقفز حد الـ ٥٠٪ ليحدد العبور الحاسم إلى مجتمع الخدمات ، لنجد فى ١٩٩٠ أن ٦٣,٩٪ يعملون فى القطاع الثالث



تحقق بعد الحرب منح المرأة حق التصويت ، وبذلك تحققت المساواة السياسية بين الجنسين ، لكن بعد خوض العديد من معارك الاستفتاء طويلة الأمد . تُوجُنّر ، زيوريخ .

< قطاع الخدمات > ، و٣١,٨٪ فقط فى الصناعة .

أصابت الأزمة الاقتصادية لـ ١٩٧٤/ ٧٦ البلاد بوجه خاص . فأسرعت فى انحسار سوق العمل السويسرية . وبلغ إجمالى ما فقدته سويسرا ٣٠٠٠٠٠ وظيفة أى بنسبة ١٠ فى المائة من أماكن العمل . أصاب ذلك اليد العاملة الأجنبية بوجه خاص (حوالى ٢٠٠٠٠٠) ، رجع العديد منهم إلى أوطانهم . كما ووجهت الصناعة التصديرية بصعوبات كبيرة ، فبجانب تأثير الفرنك السويسرى المرتفع نجد أيضا المنافسة المتزايدة من البلدان المبتدئة فى التصدير والتى تنتج بتكاليف أقل بكثير . بالإضافة إلى أن سويسرا غفَت وسَهت عن اللحاق بالثورة الميكروإلكترونية .

كان الازدهار البطىء الذى حدث فى أواخر عقد السبعينات متخلفًا جدًا عن النمو الذى حدث فيما قبل ١٩٧٣ . كما كان الانهيار الحاد فى منتصف السبعينات ، وحقيقة أن سويسرا لم تستعد قواها إلا ببطء بمثابة صدمات تحذرها من أن القدرة على المنافسة ومعها بالتالى رفاهية هذا البلد الذى يعتمد اعتمادا شديدا على التصدير أصبحت فى خطر . ثم استطاعت بعض الشركات المجددة أن تحقق نجاحا بفضل التوسع فى استخدام الكمبيوتر وتطبيق التكنولوجيا الجديدة فى الثمانينات الأمر الذى تثبته وتمثله ساعات < إسْواتْش > الشائعة . لكن هذا النجاح سار جنبا إلى جنب مع اتجاه قوى للضغط لكى يتكيف مع السوق العالمية وهى سياسة تؤدى - فى فترات الأزمات وتراجع الرخاء (١٩٩١/ ٩٣) - إلى فقدان كثير من الوظائف .

٣ الوفاق والاستهلاك والحرب الباردة

لم تأت فترة ما بعد الحرب بكثير من الرخاء فحسب ، إنما حققت أيضا ثباتًا سياسيًا كبيرًا . ظهرت مقدماتها بالفعل فيما قبل الحرب بإدماج القوى العاملة فى الدولة الاتحادية . ثم نجد أن طور الإصلاح القصير الذى أدى إلى إزالة نظام السلطة المطلقة للحكومة أثناء الحرب بالإضافة إلى المبادرة السياسة ضد سياسة الأولويات



منطقة سكنية صناعية فى بازل . صورة من شركة سويس اير . زيوريخ .

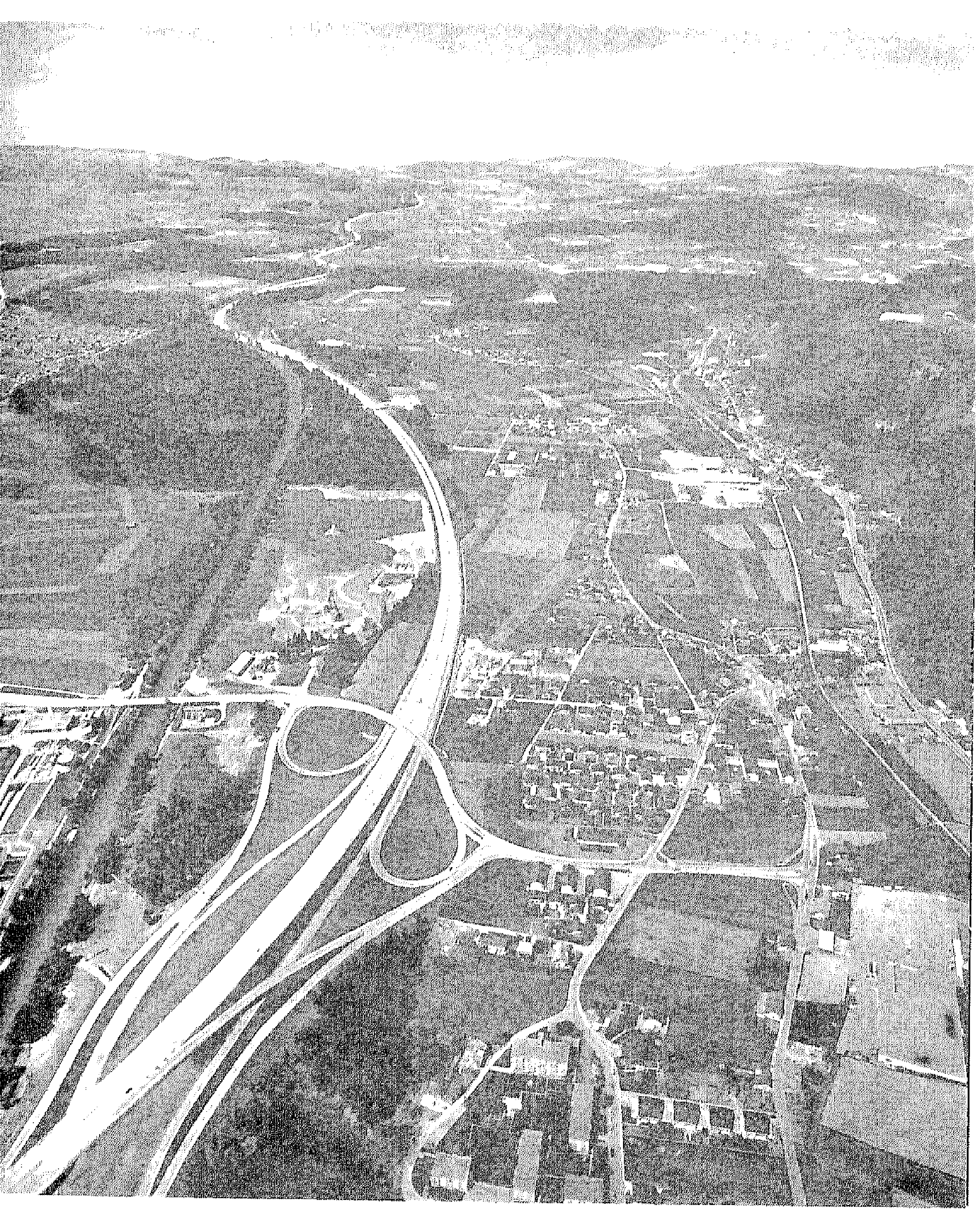
الملحّة للمجلس الفدرالى أدّى إلى تمهيد الطريق للعودة إلى الديموقراطية المباشرة فى فترة ١٩٤٦/٤٩ .

ومع بدء الحرب الباردة تحوّلت صورة التهديد الاستبدادى الديكتاتورى للاشتراكية الوطنية النازية إلى الشيوعية بحذافيرها . ثم أثّر الخوف من الشيوعية أيضا بعد ١٩٥٠ فى المجال الداخلى وأصبح أساسًا لإجماع وطنى فرض نفسه حتى الستينات بالرغم من إعادة بناء الهيكل الاقتصادى والاجتماعى بشكل عميق .

ومع الصيغة السحرية لـ ١٩٥٩ التى حدّدت التكوين الحزبى السياسى لمجلس الاتحاد (٢ عن المتحررين ، ٢ عن المحافظين الكاثوليك الذين أصبحوا الديموقراطيين المسيحيين فيما بعد ، ٢ عن الديموقراطيين الاشتراكيين ، وواحد يمثل الفلاحين ـ حزب الشعب) وصل الإندماج السياسى إلى أعلى درجات تطوره معلنًا عهد ديموقراطية الوفاق .

إن الانطلاقة الاقتصادية العاصفة هى التى بَنَت الأساس المادى لعصر الوفاق هذا . وأمكن حل كثير من المشاكل السياسية على أنها مسائل تتعلق بالتوزيع . ووافق الجميع بشكل عام على تحديث الاقتصاد والبنية الأساسية . والتجأ الائتلاف الحكومى إلى الشعب الذى قبل البند الدستورى الخاص بالطاقة النووية (١٩٥٧) ، والمشروع القومى لبناء الطرق (١٩٥٨) ، وبند الدفاع المدنى (١٩٥٩) . وظهرت أشكال جديدة للحياة الحديثة : فى ١٩٥٢/٥٣ بدأ عصر التليفزيون ، فى ١٩٥٤ قاموا بتسليم الجزء الأول من طريق الأوتوستراد للمرور ، فى ١٩٥٩ صدرت الصحيفة المصغرة < بْلِيك > ، فى ١٩٦٢ ظهر فى السوق اللبن المبستر فى علب كرتون ، فى ١٩٦٨ قاموا بتشغيل أول محطة للطاقة النووية .

ازداد باستمرار تحول الواجبات من المقاطعات إلى الاتحاد الكونفدرالى بالرغم من بقاء الوعى الفدرالى قويا . أيضًا انضمت مقاطعات مختلفة إلى مجموعات إقليمية (مواثيق) لإيجاد حلول مشتركة لمشاكل معينة . ففى مقاطعة برن تلقت قضية انفصال الجورا المتكلمة بالفرنسية عن المقاطعة القديمة المتكلمة بالألمانية دافعًا



إنشاء شبكة لطرق السيارات فى سويسرا ، وهى اليوم من أكثفها فى العالم بالرغم من أنها لم تبدأ إلا فى الستينات (وصلة تُون شمالا مع وادى الآر). صورة من شركة سْويس إيرْ ، زيوريخ .

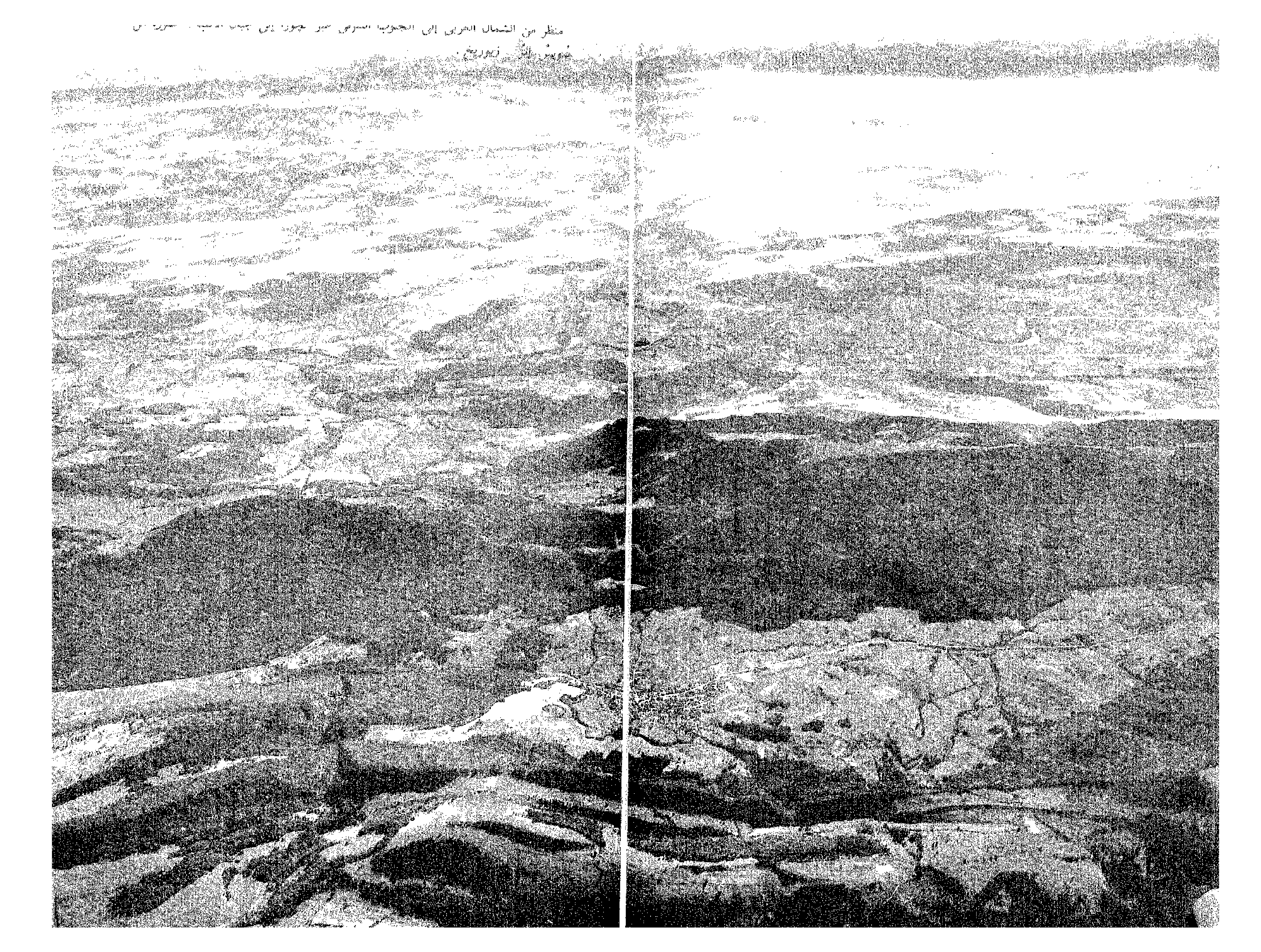
جديدًا بعد ١٩٤٧ . وحصلت الحركة الانفصالية فى المناطق الشمالية الكاثوليكية على موافقة الأغلبية من السكان ، بينما لم تحظَ فى المناطق الجنوبية المصنِّعة والبروتستانتية منذ فترة طويلة بتأييد كبير . أخيرًا انتهى الخلاف فى ٧٥/١٩٧٤ بعد نزاعات كانت حادة أحيانا عندما وافق المقترعون على الانفصال فى استفتاءات للمقاطعات والمناطق وأخيرا فى استفتاء للكونفدرالية . وأصبح الشمال فى ١٩٧٨ المقاطعة الكاملة الثالثة وعشرين - مقاطعة الچورا . وبقى الجنوب جزءًا من مقاطعة برن . وانضم وادى لاوْفِن المتكلم بالألمانية إلى مقاطعة ريف بازِل فى ١٩٩٣ .

كان الأمر صعبًا بالنسبة للإصلاحات الأساسية : فنظام مالية الاتحاد يسير متثاقلًا منذ الحرب العالمية الثانية من حل مؤقت إلى آخر مؤقت . وعندما ظهرت فى منتصف الستينات أزمة فى النظام السياسى ، ارتفع نداء يطالب بتعديل كامل لدستور الاتحاد لإعادة تنظيم هيكل الدولة وللتغلب على الحرمان المتزايد للمواطنين . ثم تجمَّد الموضوع فى النصف الثانى من السبعينات . وما بقى كان شكلًا مختلفًا أكثر تواضعًا ، بتقسيم جديد للواجبات بين الاتحاد الكونفدرالى والمقاطعات . واستجابةً للمناخ السياسى المتغير ، وواجبات الحكومة المتنامية بلا حصر بدأ البرلمان ومجلس الاتحاد فى ١٩٩٠ بعمل إصلاح حكومى تدريجى .

٤ على طريق مساواة المرأة فى الحقوق

يرتبط تحرير المرأة سياسيا واجتماعيا ارتباطًا وثيقًا بالازدهار الاقتصادى . فبعد الحرب فى ١٩٥١ وبعد أن انتهت جميع دول أوروبا تقريبا من إعطاء المرأة حق الاقتراع ، فإن مجلس الاتحاد كان لا يزال يعتبر ذلك أمرًا سابقًا لأوانه فى سويسرا . وبالفعل فى ١٩٥٩ اقترع الرجال السويسريون ضد حق المرأة فى الاقتراع < ٦٧٪ قالوا لا > ، لكن بالرغم من ذلك عُمل به فى نفس السنة فى مقاطعة الڤو التى تبعتها بعد ذلك مقاطعات نيوشاتل ، وجنيف ، ومدينة بَازِل . فقط فى ١٩٧١ وافقت أغلبية الشعب

منظر من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي عبر [illegible]
[illegible] زوريخ.



عند التصويت < ٦٥,٧٪ قالوا نعم > على مستوى الاتحاد ، بينما كانت ست مقاطعات ونصف لا تزال رافضة . منذ ذلك الحين أصبح حق الاقتراع للمرأة ساريا ومعمولاً به ليس فقط على مستوى الاتحاد الكونفدرالى ، إنما أيضا فى كل المقاطعات ـ وكذلك فى مقاطعات اللأَنْدْسْجِمّايْندى . وبالرغم من أن نسبة المرأة اليوم فى المصالح السياسية تتلاقى فى متوسطها مع الدول الغربية المصنّعة الأخرى ، فإن تمثيل المرأة لا يزال دون مستواه : ففى ١٩٩١ كانت تمثل ٤٠ مقعدًا أو ١٦,٣٪ من مجموع ٢٤٦ مقعدا فى الجمعية الوطنية . وفى ١٩٨٤ وصلت أول امرأة إلى مجلس الاتحاد ، لكن من ١٩٨٩ لم يكن يمثل حكومة الاتحاد غير الرجال ، لذلك كان انتخاب امرأة فى ١٩٩٣ أمرًا رمزيًا فقط .

وببطء تسرى تدريجيا حركة المساواة فى الحياة اليومية . كذلك لم تحدث النهضة فى مجال إدارة البيت وبالتالى فى دور ربات البيوت إلا فى الخمسينات بالرغم من الترشيد الذى حدث بواسطة أجهزة البيت الحديثة وعن طريق عادات الأكل . لكن سوق العمل التى استُنزفت احتاجت إلى النساء كقوى عاملة على الأقل قبل الزواج ثم مرة أخرى بعد أن يكبر ويستقل الأطفال . بهذا بقى توزيع الأدوار محفوظا . وفى إثْر حركة ٦٨ لتحرير المرأة بدأت النساء الشابات فى تحدى دورهن هذا وأخذن يضغطن من أجل المساواة فى الحقوق فى جميع المجالات . ظهرت النتيجة أولا وقبل كل شيء فى المساواة أمام القانون الأمر الذى كان تحقيقه أسهل من غيره : ففى ١٩٨١ أضيف بند عن مساواة المرأة بالرجل فى دستور الاتحاد . وفى ١٩٨٥ حصلت النساء على تعديل للقانون الخاص بحقوق الزواج بالرغم من الأغلبية الرافضة له من الرجال .

لكن تَبقى مع ذلك فى الواقع جوانب من عدم المساواة . وفى < إضراب النساء > أبرزت المرأة فى ١٩٩١ أن المعاملة الشكلية بالمثل للجنسين ، لم تؤدِّ حتى الآن إلا إلى مزيد من الأعباء بالنسبة للمرأة دون أن تخفف كثيرًا من الإجحاف الواقع عليها .

شكى الكثيرون منذ منتصف الستينات من المغالاة فى المواءمة والتماثل ، ومن تناقص الاهتمام بالدولة والانخفاض المستمر فى عدد المقترعين . وتحدث المثقفون عن < القلق الهِلْفِستى > وتنبأوا بذلك سلفًا عن اتجاه اكتسح البلاد فى نهاية العقد .

قامت ديموقراطية الوفاق بتخفيف حدة التعارض بين المبادىء . ثم أدّى التوسع المستمر لعملية التشاور والاتفاقات داخل الأحزاب ، بالإضافة إلى الافتقاد إلى معارضة قوية بنّاءة إلى الإحساس بالعجز بين المواطنات والمواطنين . وبينما وقع البعض فى سبات سياسى ، حاول آخرون باستخدام وسائل الديموقراطية المباشرة وعن طريق التصرف العفوى أن يشرخوا نظام الوفاق .

كان تفريغ التوترات التى ارتبطت بالازدهار الاقتصادى عن طريق اثنين من ردود الأفعال المتطرفة ، كلاهما تدعّما فى حركات مستقلة خارج نظام الحزب التقليدى . فمن ناحية شكل الوطنيون أنفسهم مع اتجاه رفض الرأسمالية ، والشعارات الوطنية وبرامج معاداة الأجانب . وأثاروا ضجّة كبيرة فى ١٩٧٠ بمبادرتهم للاستفتاء < ضد تغريب الشعب والوطن > التى رُفضت بنسبة ضئيلة فقط حيث حصلت على موافقة ٤٦٪ من الأصوات . تلت ذلك مبادرات استفتاء أخرى ، لكنها لم تصل أبدا إلى تلك النسبة . فالوطنيون قاموا فى زمن النمو والازدهار بتعبئة الذين تخلفوا عن هذا الركب . ورأى هؤلاء أن وطنهم أصبح مهددا من هجرة الأجانب إليه ـ حيث ارتفعت نسبتهم من ٦,١٪ فى ١٩٥٠ إلى ١٥,٩٪ فى ١٩٧٠ ـ كما يتهدده الاعتماد الدولى المتبادل .

نشأت على الناحية الأخرى من الصورة السياسية حركة الـ ٦٨ التى قدّمت نفسها كحركة يسارية ودولية تطالب بإصلاحات بجانب الإنفتاح على الخارج ، وانتقدت ضيق مجال المجتمع الاستهلاكى ، والرضاء الذاتى ، والهياكل الاجتماعية

المتحجرة . الواقع أن ذروة هذه الحركة لا تشابه فى كثير الشغب العام فى ١٩٦٨ ، بل هى أقرب إلى حركات الاحتجاج فى ٧٣/١٩٧٢ . ومن هذه الحركة نشأت مجموعات مختلفة من اليساريين الجدد .

فى الوقت الذى توقعت فيه سويسرا حدوث تقدم وتطور مع الوطنيين الشعبيين اليمينيين ، فإنه حدث تراجع وانزواء كما هو الأمر فى جميع البلدان الصناعية الغربية فى الدين ، والقومية ، والوطنية ، والعائلة ، والزواج ، والمهنة بل وأيضا فقدت الاتحادات والأحزاب ، والنقابات أكثر وأكثر قوتها الرابطة . وأخذت تنتشر تصورات لِقِيم جديدة فيما يختص بالعلاقات الجنسية ، وعلاقة المرء بالبيئة ، والمجتمع الدولى أو حتى فى تشكيل الحياة والعمل . هذه التصورات كانت فى تناقض عنيف مع التصورات الأساسية المكتسبة فى الثلاثينات مما جعل الشك يتسرب بشكل أساسى إلى الإجماع الوطنى .

لكن لم يتحول هذا الموقف إلى أزمة فى التوجيه إلا مع الانهيار الاقتصادى المرتبط بأزمة زيت البترول والتراجع الاقتصادى الذى تلى ذلك . وبيَّن تقرير نادى روما الذى ظهر فى ١٩٧٢ أن حدود النمو لا يمكن فقط عدم تجنبها ، لكنها ضرورية أيضا . وكانت الحيرة الناجمة هى نقطة البداية للمبادرات السياسية المختلفة للمواطنين ، وللحركات الاجتماعية الجديدة التى نعرفها بشكل أفضل تحت أسماء مثل الحركة النسائية ، أو حركة السلام ، أو حركة العالم الثالث ، أو الحركة الخيارية . وتعُد من بينها أيضا حركة المدافعين عن البيئة التى حققت سنة ١٩٧٥ بالاحتجاج على استخدام الطاقة النووية نجاحا وطنيا كاسحًا . وكان احتلال أرض مشروع المحطة النووية فى نواحى كَايْزَرْ أَوْجَسْتْ بمثابة الحدث الذى أسَّس هذه الحركة ، وعبَّأ حولها عددا كبيرا من المؤيدين . لكن حادث المفاعل النووى فى ١٩٨٦ فى تْشِيرْنوبيل كان هو الذى أدَّى إلى صرف النظر نهائيا عن إقامة المحطة النووية بعدما رُفضت مبادرات الاستفتاء لوقف بناء هذه المحطات فى ١٩٧٩ و ١٩٨٤ وكان رفضها فى بعض الأحوال بنسبة ضئيلة جدا من الأصوات وبقبول < وقف نشاط

الطاقة النووية > فى ١٩٩٠ صُرف النظر عن بناء مزيد من المنشآت النووية للعشر سنوات التالية .

تشكلت أحزاب الخضر من حركة حماية البيئة . وتكفّلت بالقيادة فى منتصف الثمانينات فى معسكر المعارضة اليسارى . يتميز النظام السياسى السويسرى بأدواته فى الديموقراطية المباشرة وهى الاستفتاءات ومبادرات الاستفتاء بأنه يقدم لحركات المعارضة السياسية المعتدلة خارج معسكر الحكومة احتمالات طيبة .

فى ١٩٨٠ نشبت قلاقل للشباب فى عدة مدن كبيرة ، كانت مختلفة عن حركة ١٩٦٨ ، حيث غلب عليها الشباب غير الجامعى . وشابهت مطالبهم فى مزيد من الحرية البدايات الفوضوية لحركة احتجاج الطلبة فى ٦٨ . لكنهم لم يحظوا بتفهم المسئولين لمطالبهم كما لم يحظوا بتعاطف أغلبية شعبية معهم .

وإذ جذبت مشاكل البيئة مثل موت الغابات فى النصف الأول من الثمانينات اهتمام دوائر عريضة من الشعب ومن البرلمان ، فإنه ظهر حزب السيارات ممثلا لليمين كرد فعل لحركة حماية البيئة . وانضم إلى الحركات الوطنية اليمينية الأخرى مستفيدا من فقدان الاتجاه وعدم الأمان الذى تركه التحول العنيف لدى كثير من الناس . أخذت المجموعات تقدم وصفات بسيطة وشعارات واضحة لمشاكل معقدة ، كما لم يحجموا عن استخدام الإحساس بالخوف من الأجانب ، والأعداد المتزايدة من طالبى اللجوء من غير الأوربيين من أجل أغراضهم السياسية . ولم يلبث أن أصبح قانون ١٩٧٩ الخاص باللجوء بمفهوم التقاليد الإنسانية ، معرضا تحت ضغط الخوف مما هو أجنبى ، والوقوف موقف العداء منه لتعديلات حدّت من فاعليته . وقرر البرلمان فى ١٩٩٣ لمواجهة تعاظم اتجاه الخوف من الأجانب والعداء لهم منذ الثمانينات انضمام البلاد إلى اتفاقية هيئة الأمم المتحدة ضد التمييز العنصرى .

كذلك كان من النتائج استمرار انكماش الأحزاب الممثلة فى مجلس الاتحاد ، وخسارتها لمزيد من الأصوات فى انتخابات المقاطعات وعلى النطاق القومى . فعند المقارنة نجد أنه : فى ١٩٥٩ حصلت أحزاب الاتحاد الأربعة على ٨٤,٩ من الأصوات ، لكن منذ ١٩٦٧ انخفضت نسبتها لتصل فى ١٩٩١ إلى ٦٩,٥٪ فقط . وفقدت الأحزاب الكبيرة أثناء هجرها لأيديولوجياتها وظيفتها فى عملية الإدماج ، فكانوا يتخبطون ذات اليمين وذات اليسار ينتظرون . ونتيجة لذلك أصبحت الصيغة السحرية للحكومة موضع ريبة وتساؤل .

ساهمت فى ذلك بعض الأمور والفضائح التى هزت البلاد منذ الثمانينات مثل مسألة استقالة إليزابِت كوپ أول امرأة عضوة فى مجلس الاتحاد ، وفضيحة الفيشات أو الدوسيهات حيث قامت النيابة العمومية للاتحاد فى إطار الحرب الباردة بعمل دوسيهات لبعض المواطنين المرتاب فى أمرهم ، وكذلك الفضيحة المالية فى برن . وكشفت هذه الأمور عن ضعف فى النظام السياسى . ويمكن تفسيرها أيضا كتعبير عن أزمة ثقة بدأت من فترة طويلة أو التغير الذى طرأ على القِيَم : فإليزابِت كوپ عضوة مجلس الاتحاد الفدرالى استقالت فى يناير ١٩٨٩ بعد أن فشلت فى تبرئة نفسها من الاتهام بانتهاكها أسرار الوظيفة فيما يختص بفضيحة غسيل أموال . وأصبحت الدولة غريبة بالنسبة للمواطنات والمواطنين وإن كان ذلك لا يرجع إلى تلك الفضائح فحسب ، وإنما يرجع أيضا إلى أسباب عامة . ويوضح هذا لماذا أصبح نظام الأمن الداخلى للدولة فى نهاية ١٩٨٩ أكثر تعرُّضًا للنقد ، ولماذا أدَّى اكتشاف فيشات أمن الدولة ، والمنظمات السرية العسكرية إلى إثارة تلك الأمواج العالية . ولم يلبث أن اصبح تعبير < أزمة الدولة > تعبيرًا شائعًا . كل ذلك ألقى بظلاله على احتفال مرور ٧٠٠ عام على الاتحاد الكونفدرالى فى ١٩٩١ حيث نادى بعض الفنانين بمقاطعة الاحتفال .

أظهرت سويسرا فى الثمانينات علامات قوية على أنها ديموقراطية تقوم على إحساسات الفرد . وتؤكد وسائل الإعلام الحديثة على إضفاء الناحية العاطفية على السياسة . وبالرغم من تكرار ذكر تناقص الحماس السياسى ، فإن مساهمة المقترعين وصلت الذروة فى حالات معينة . وأثارت المبادرة الاستفتائية الشعبية من أجل إلغاء الجيش السويسرى أمواجًا عاتية واستطاعت تعبئة ما يزيد عن ثلث عدد المقترعين معبرة عن تحول عام فى السلوك بالنسبة للدفاع الوطنى . كذلك مثّلت نسبة المقترعين حدًا قياسيًا بلغت ٧٨,٣٪ عند التصويت على استفتاء < *إصلاح النقد الأوربى* >

٦ سويسرا تتغير

أمر واحد يبدو اليوم مؤكدًا : وهو أن البلد والمجتمع فى حالة تغيّر . ومن الممكن تتبّع الخطوط العريضة للتحول الاجتماعى والسياسى حتى منتصف الستينات . ولكنه زاد من سرعته منذ التسعينات . وأوجد سقوط سور برلين فى ١٩٨٩ ومعه انهيار نظام الدولة

الشيوعى احتمالات دولية جديدة سقطت معها الشروط السياسية العالمية المواتية التى كانت البلاد تستطيع بواسطتها ان تمارس سياسة تجارية خارجية نشطة مع سياسة حياد مُفسرة بشكل ضيق فى نفس الوقت والوقوف بمنأى عن التنظيمات الدولية . وظهر رد فعل الاتحاد الفدرالى على هذا التطور فى تقريره عن السياسة الخارجية لسنة ١٩٩٣ . وعُرِّف الانضمام الى الاتحاد الأوربى على أنه هدف بعيد المدى لسياسة التكامل . واستطاعت الحكومة السويسرية باستلامها لرئاسة < منظمة الأمن والتعاون فى أوربا > سنة ١٩٩٦ أن تعبِّر عن موقفها علنًا فى مجال غير متنازع عليه فى سويسرا ، وأن تساهم بشكل نشط فى قضية السلام فى أوربا . ويخطو اعتماد الدول على بعضها البعض عالميا بفَعالية ونشاط قُدُمًا الى الأمام : وبالاعتماد على التطور التكنولوجى العنيف يتبلور أكثر وأكثر مجتمع عالمى يتخطى الحدود التقليدية للدول القومية .

بَهَتَتْ صورة سويسرا التى كانت توصف بأنها حالة خاصة فى زمن ما بعد الحرب داخل وخارج البلاد . وتماثل البلد بمشاكله وارتباطاته مع محيطه الأوربى . وأدى التحول السريع للبلد الى أن يكون متأثرا فى مجموعه وبشكل أكبر بالمدينة وأن تكون ثقافاته أكثر تعددًا : فنجد أنه فى نهاية الثمانينات كان حوالى ٦٩٪ من السكان يحيون فى ظروف حياة المدينة ، وتفوَّقت اللغات الأجنبية للمرة الأولى على الإيطالية .

ولم تبق هذه التغيِّرات الجوهرية السياسية العالمية والثقافية الاجتماعية دون أن يكون لها أثرها على السؤال والبحث عن الهوية القومية لساكنات وساكنى البلد . يعبِّر هذا عن نفسه فى السياسة الداخلية بالنسبة لكثير من المراقبين السياسيين فى استقطاب للأحزاب لم يكد ينتظره أحد فى الريف . ولم يلبث أن انتقل هذا من أقصى أطراف البلد إلى داخل معسكر الحكومة . وفى الانتخابات البرلمانية لسنة ١٩٩٥ زادت مكاسب الديموقراطيين الاشتراكيين بتحولهم الصريح إلى أوربا ، وفى الوقت نفسه زاد أيضا حزب الشعب المتخوِّف من أوربا من عدد مقاعده . وبين هذين الموقفين يقف الحزبان الكبيران لسكان المدن : المفكرون الأحرار ، والديمقراطيون المسيحيون . إن الشعب السويسرى حساس إلى حد بعيد بالنسبة لموضوع أوربا . ولا يبدو أن هناك ثمة بلد أوربى آخر ينقسم على نفسه إلى هذا الحد فى مسألة تكامله مثل سويسرا . ولا يوجد بلد فيه مثل

هذا العدد الكبير من المؤيدين المقتنعين بأوربا ومن المعارضين لها ، كما لا يبدو أن المسألة نوقشت طويلا بمثل هذا التفصيل فى أى مكان آخر . وهناك أجزاء كبيرة من الشعب تخشى من أن يؤدى التكامل مع الاتحاد الأوروبى إلى تهديد الأصالة السويسرية .

فى وسط هذه المناقشة جاء الاتهام واللوم للبنوك السويسرية لعدم ردها الممتلكات المنسية لضحايا النظام النازى . الأمر الذى أدى إلى إثارة الأسئلة الأساسية عن معاداة السامية وسياسة البلاد بالنسبة للاجئين والمالية والحياد خلال الحرب العالمية الثانية . بهذا وُضعت أسطورة سويسرا إلى حد بعيد موضع شك فى أساسها فى داخل البلاد وخارجها أيضا . أثار ذلك أولا وقبل كل شىء قلاقل فى سويسرا نفسها ، وقوى من الخلاف حول صورتها التاريخية . كما أدى ذلك إلى ردود فعل : وأظهرت البنوك والدوائر الاقتصادية تعاطفها فمنحت اعتمادًا ماليًا إنسانيًا لضحايا الشُوا . ويمكن لمشروع < مؤسسة التضامن > طبقا لما أعلنته الحكومة السويسرية أن يكون أساسًا هامًا لسياسة تضامن خارجية . إنه يبدو أن الناس يزدادون وعيًا فى سويسرا بالنسبة لما كان من تورط البلاد مع أحداث الماضى فى عالم الأمس واليوم والغد .

يشكل التطور الاقتصادى فى التسعينات الأرضية التى تُغذّى نزاعًا اجتماعيًا آخر نشب حديثًا يحمل فى ثناياه بوجه خاص توترات فى الزمالة الاجتماعية ونظام الوفاق السياسى . وأصاب الضعفُ النموُ الحقيقى فى النصف الأول من التسعينات بحوالى ٥,٠٪ من إجمالى الإنتاج الداخلى للبلاد سنويا . وارتفعت البطالة بالنسبة للظروف السويسرية بشكل ملفت للأنظار شاملة فى ١٩٩٣ ما يزيد عن ١٦٠٠٠٠ شخص . وبينما يرى ممثلو الاقتصاد كرد على عولمة الأسواق إطلاق المنافسة وتغيير الهيكل بما يعنى التقليل من تدخل الدولة حتى يمكن المحافظة على فعالية المنافسة ، فإن العاملين من جانبهم يروْن فى ذلك تهديدات أساسية لمكاسب الدولة الاشتراكية . يبيِّن لنا عمق هذا التحول ذلك الإندماج الذى تَمَّ فى ١٩٩٦ بين مؤسستى بازل الكيماويتين : سيبا وساندوز اللتين أصبحتا نوفارتيس . وتقوِّى مثل هذه الخطوات من كفاءة المنافسة ، لكنها تؤدى أيضا إلى تراجع فرص العمل فى البلد . ويصَعِّب ارتفاع قيمةُ الفرنك

التبادلية من الوصول إلى الأسواق العالمية بالنسبة لصناعة التصدير السويسرية ، بينما يكسد أو يتراجع الطلب على السلع الاستهلاكية فى الداخل .

بالإجمال تقدم لنا سويسرا حاليا صورة ذات جانبين . لكن بالرغم من هذا الاختلاف أو حتى بسببه فإنه يبدو أن البلد يسيطر على هذا التحوّل .

فهذا البلد الصغير ذو اقتصاد قوى فعّال فى المجال الدولى ، ويتبع أقوى أشكال الاقتصاد الشعبى المتكامل فى أوربا الغربية . وكتعبير عن النشاط الاستثمارى نجد أن الاقتصاد السويسرى يوفر فى الاتحاد الأوربى ٦٣٥٠٠٠ فرصة عمل - كان ذلك هو الموقف فى ١٩٩٣ - وبمرونة يقوم البلد بملاءمة المقاييس الأوربية فى إطار القانون السويسرى . لهذا يهددنا خطر < إنجاز الاستقلال التام > منذ رفض الانضمام إلى *إصلاح النقد الأوربى* ، وبالتأكيد تفقد سويسرا بوقوفها خارج الوحدة الأوربية إمكانات المشاركة فى القرار . كذلك بعد مفاوضات سويسرا الثنائية مع منظمة الوحدة الأوربية ، فإن سويسرا لا زال من الواجب عليها فى أعقاب عملية الوحدة الأوربية أن تحدد مكانها فى أوربا . فالبلد ليس منقسما فقط فى المناقشة السياسية اليومية بخصوص أوربا ، ولكنه بالأحرى منقسم بشكل أكبر فى السؤال عن هويته مستقبلا كأمة ذات إرادة . وسوف تثبت الأيام فيما إذا كان الإصلاح الدستورى الذى تَقَدَّم به الاتحاد الفدرالى يمكن له أن يساعد فى هذا الأمر . وتدعونا سنة ١٩٩٨ إلى مزيد من التأمل فى الماضى والتوجّه الجديد عندما نعمل فكرنا فى الأحداث المختلفة :

ففى عام ١٧٩٨ ظهر أول دستور مع هلفسيا ، وفى عام ١٨٤٨ أُعلن قيام الدولة الاتحادية الحديثة . يتضح من هذا أن مصير سويسرا كان دائمًا وثيق الصلة بالتطورات السياسية الخارجية ، كما أن البلد وجد نفسه مرة أخرى فى قضايا مصيرية سياسية داخلية ، طويلة المدى ، واسعة النطاق .

المراجع

دراسات عامة

أمّانّ ، هِكتور/شِيب ، كارْل : *الأطلس التاريخى لسويسرا* . الطبعة الثانية ، آراو ١٩٥٨ .

كتاب الجيب لتاريخ سويسرا ، جزءان ، زيوريخ ١٩٧٢/١٩٧٧ .

تاريخ سويسرا والسويسريين ، ٣ أجزاء ، صدر تحت الإشراف العلمي لِلجنة كتابة تاريخ جديد لسويسرا ، بازل ١٩٨٢/٨٣ ، الطبعة الثانية (إصدار خاص بالدراسات فى جزء واحد) ، بازل ١٩٨٦ .

تاريخ سويسرا ، لِـ هانْس فون جْرِيِزْتْس مع آخرين ، نصوص غير مختصرة من كتاب الجيب للتاريخ الأوربى ، إصدار فون تيودور شِيدَرْ ، ميونيخ ١٩٩١ .

إيم هوف ، أولْريخ : *تاريخ سويسرا* ، الجزء الخامس وطبعة مزيدة ، شْتُوتْجارْت ١٩٩١ .

دِيرَاوَر ، يوهانّس . *تاريخ الاتحاد الكونفدرالى السويسرى* . ٥ أجزاء ، جوتا ١٩١٩ - ١٩٢٢

أوبير ، چان - فْرَانْسْوَا : *تاريخ دستورى صغير لسويسرا* ، بِرْن ١٩٧٤ .

ألْتِرْماتّ ، أورْسْ : *مجالس الاتحاد السويسرية* . قاموس سيرة ذاتية ، طبعة ثانية ، زيوريخ وميونيخ ١٩٩٢ .

بِرْچْيِه ، چان - فْرَنْسوا : *ولادة ونمو سويسرا الصناعية* ، برن ١٩٧٤ .

بِيكِل ، ڤِيلْهِلْم : *الاقتصاد الشعبى لسويسرا* . تطوره وهيكله ، آراو ١٩٧٣ .

فوتِر (بإمالة الواو إلى الياء) ، إدْوَارْد : *سويسرا منذ ١٨٤٨* ، تاريخيًا ، سياسيًا ، علميًا ، زيوريخ ولَيْبْتْسِيج ١٩٢٨ .

چِنْتِيلى ، چِيَانّى/شْنَايْدَر ، بِرْنْهَارْد/شْڤَارْتْس ، بْرِيجِيتّى : *الحياة اليومية فى سويسرا من ١٣٠٠* ، لوكَارْنو ١٩٩١ .

چِلْيَارْدْ ، شَارْلْز : *تاريخ سويسرا* ، الطبعة العاشرة ، باريس ١٩٩١ .
جْرِيرْتس ، هانْسْ فون : *دولة الاتحاد منذ ١٨٤٨* . فى : كتاب الجيب لتاريخ سويسرا ، الجزء الثانى ، زيوريخ ١٩٧٧ .
مارْتن ، وِيلْيام : *تاريخ سويسرا . بحث عن إنشاء اتحاد كونفدرالى للمقاطعات* . الطبعة السادسة ، لوزان ١٩٦٦ .
شْنايْدَر ، هَانْسْ :*تاريخ الدولة الاتحادية السويسرية* ١٨٤٨ - ١٩١٨ ، زيوريخ ١٩٣١ .
حركة العمال السويسرية . الوثائق والتنظيم ومعارك العمال من بواكير التصنيع حتى الوقت الحالى . جزءان ، زيوريخ ١٩٧٥/٧٩ .

التاريخ الاجتماعى والاقتصادى

آمَانّ ، هِكْتور . *حياة المدن السويسرية فى القرون الوسطى من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية* ، بروكسل ١٩٥٦ .
بِرْجِيه ، چَانْ - فْرَنْسْوَا : التاريخ الاقتصادى لسويسرا من البداية حتى يومنا هذا ، الطبعة الثانية ، زيوريخ ١٩٩٠ .
سِيكوريلْ ، (بإمالة الواو إلى الياء) رونَالْد/ مَانْكَاسولا لِيلْيَانْ : ١٢٩١ - ١٩٩١ ، *الاقتصاد السويسرى* سانت سُولِيْسى ١٩٩١ .
بِيكِل ، ڤِيلْهِلْم : *تاريخ سكان سويسرا وسياستهم منذ الخروج من القرون الوسطى* ، زيوريخ ١٩٤٧ .
مَاتّمولْلَرْ (بإمالة الواو إلى الياء) ، مَارْكُوس : تاريخ سكان سويسرا ، جزء ١ . العصر الحديث المبكر ١٥٠٠ - ١٧٠٠ ، جزءان ، بَازِل ١٩٨٧ .
بودْمر ، ڤالْتَر : *تطور النسيج فى سويسرا فى إطار الصناعات الأخرى* . زيوريخ ، ١٩٦٠ .

هاوزر ، ألبرت : *تاريخ سويسرا الاجتماعى والاقتصادى* . إرلنباخ - زيوريخ ١٩٦١ .

يوريس ، إليزابت/ فيتسيغ ، هايدى : *تاريخ المرأة* : وثائق من قرنين عن وضع المرأة فى سويسرا ، زيوريخ ١٩٨٦ .

مسمر ، بياتريكس : *خارج الأقواس - داخل الأقواس* : النساء وتنظيمات النساء فى سويسرا فى القرن ١٩ ، بازل ١٩٨٨ .

فالتر ، فرانسوا : *السويسريون والبيئة* . تاريخ علاقتهم بالطبيعة ، من القرن ١٨ إلى أيامنا هذه ، كاروج - جنيف ١٩٩٠ .

نشأة الاتحاد الكونفدرالى

جليجنر ، ألفرد : *اشتراك النبلاء فى تأسيس وتثبيت الاتحاد الكونفدرالى* ، برن ١٩٤١ .

ماير ، برونو : *إقامة الاتحاد الكونفدرالى فى القرن ١٤* . زيوريخ ١٩٧٢ .

مومسن ، كارل : *الاتحاد الكونفدرالى والقيصر والرايخ* . دراسة عن وضع الاتحاد الكونفدرالى داخل الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، بازل ١٩٥٨ .

برجيه ، جان - فرانسوا : *ولّيم تل* ، باريس ١٩٨٨ .

إيم هوف ، أولريخ : *أسطورة سويسرا ، الهوية - القومية - التاريخ ١٢٩١ - ١٩٩١* ، زيوريخ ١٩٩١ .

مارشال ، جى پ . /ماتيولى ، أرام : *سويسرا المبتدعة* . بناء الهوية القومية ، زيوريخ ١٩٩٢ .

الإصلاح والنظام القديم

لوخر ، جوتفريد : *الإصلاح التسفينجلى فى إطار تاريخ الكنائس*

الأوربية ، جوتينجن (بإمالة الواو إلى الألف) ١٩٧٩ .

بوذمر ، ڤالتر : *تأثير هجرة اللاجئين من ١٥٥٠ حتى ١٧٠٠ على الاقتصاد السويسرى* ، زيوريخ ١٩٤٦ .

هويزلر ، أنذرياس : *تاريخ الدستور السويسرى* ، بازل ١٩٢٠ .

پيه ، هانس كونراد : *تاريخ الدستور لسويسرا القديمة* ، زيوريخ ١٩٧٨ .

براون ، رودلف : *النظام القديم المنقضى فى سويسرا* . رسم تخطيطى لتاريخ اجتماعى واقتصادى للقرن ١٨ ، جوتينجن (بإمالة الواو إلى الألف) وزيوريخ ١٩٨٤ .

خاپويزا ، إذوارد . *سويسرا والثروة الفرنسية* ، جنيف ١٩٤٥ .

انتصار التحررية ونشأة الدولة الاتحادية

كريج وجوردون أ . : *المال والروح* . زيوريخ فى عصر التحرر ١٨٣٠ - ١٨٦٩ ، ميونيخ ١٩٨٨ .

دوبلين ، يورج (بإمالة الواو إلى الياء فى الكلمتين) : *سويسرا . مجلس الاتحاد* . بحث العمل السياسى لنواب الاتحاد الكونفدرالى فى الفترتين التشريعيتين الأولتين . ١٨٤٨ - ١٨٥٤ ، بازل ١٩٧٨ .

جليازدى ، إرنست : *ألفرد إشر* . أربعة عقود من التاريخ السويسرى . فراونفلد ، ١٩١٩ .

هاوزر ، ألبرت : *الجديد آت* . يوم عمل سويسرى فى القرن ١٩ ، زيوريخ ١٩٨٩ .

كرايس ، جيورج : *الطريق إلى الحاضر* . سويسرا فى القرن ١٩ ، بازل ١٩٨٦ .

زالتسمان ، مارتن : *الأزمة الاقتصادية فى مقاطعة زيوريخ من ١٨٤٥ - ١٨٤٨* . وضعها وتقييمها فى إطار التطور الاقتصادى والاجتماعى فى النصف الأول من القرن ١٩ ، برن ١٩٧٨ .

ألتِرمات ، أورس : *طريق الكاثوليك السويسريين إلى العُزلة* . تاريخ نشأة المنظمات الشعبية الوطنية فى الكاثوليكية السويسرية ١٨٤٨ - ١٩١٩ ، برن ١٩٧٢ ، الطبعة الثانية المزيدة ، زيوريخ ١٩٩١ .
ألتِرمات ، أورس : *الكاثوليكية والمحدثون* . تاريخ اجتماعى وعقلانى للكاثوليك السويسريين فى القرنين ١٩ ، ٢٠ ، الطبعة الثانية ، زيوريخ ١٩٩١ .
جِيلْج ، بيتَر : *نشأة الحركة الديموقراطية والمسألة الاشتراكية* . الأفكار الاشتراكية والمبادىء الأساسية للديموقراطيين السويسريين المتكلمين بالألمانية فى بواكير الستينات من القرن ١٩ ، برن ١٩٥١ .
شافنَر ، مارْتين : *الحركة الديموقراطية فى سنوات ١٨٦٠* . وصف وتوضيح الحركة الشعبية فى زيوريخ سنة ١٨٦٧ ، بازِل وشْتُوتْجارْت ١٩٨١ .
شْتَالْدَر ، بيتَرْ : *الصراع الثقافى فى سويسرا* . الاتحاد الكونفدرالى والكنيسة الكاثوليكية فى المحيط الأوربى ١٨٤٨ - ١٨٨٩ ، فْراوِنْفِلْد ١٩٨٤ .

الازدهار الصناعي وتغيُّر الجبهات السياسية

بْرُوجْر ، هانْس : *الزراعة السويسرية* . جزءان ، فْراوِنْفِلْد ١٩٥٦/٧٩ .
جْرُونَر ، إرِيك : *الاتحادات الاقتصادية فى الديموقراطية* . عن نمو المنظمات الاقتصادية فى الدولة الاتحادية السويسرية ، إرْلِنْباخ - زيوريخ ١٩٥٦ .
نايْدهارْت ، لِيونْهارْد : *الاستفتاء وديموقراطية التعدد* . تحليل لوظيفة قانون الاستفتاء السويسرى ، برن ١٩٧٠ .
تْسِيمَّرْمانّ ، بيات ر . *سياسة الاتحاد والسياسة الاقتصادية عند التحول إلى تدخل الدولة* ، برن ١٩٨٠ .

جْرُونَر ، إرِيك : *العمال فى سويسرا فى القرن ١٩* . الوضع الاجتماعى ، التنظيم ، العلاقة مع أصحاب الأعمال والدولة ، برن ١٩٦٨ .
جْرُونَر ، إرِيك : *الأحزاب فى سويسرا* . طبعة ثانية مجددة ومزيدة ، برن ١٩٧٧ .
جْرُونَر ، إرِيك : *العمالة والاقتصاد فى سويسرا ١٨٨٠ ـ ١٩١٤* ، ٣ أجزاء ، زيوريخ ١٩٨٧/ ٨٨ .
أُورْنَر ، كْلاوْس : *الألمان فى سويسرا* . من بداية تكوين المستعمرات حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ، فْراوِنْفِلْد ١٩٧٦ .
التضامن ، التناقض ، الحركة . مرور ١٠٠ سنة على الحزب الاشتراكى الديموقراطى السويسرى . إصدار الحزب الاشتراكى الديموقراطى بسويسرا ، زيوريخ ١٩٨٨ .

الحرب العالمية الأولى : عصر المواجهة

جاوْتْشِى ، قِيلْى : *الإضراب العام الشامل فى ١٩١٨* . الطبعة الثالثة . زيوريخ ١٩٨٨ .
يُونْكَر ، بِيات : *الفلاحون فى طريقهم إلى السياسة* . نشأة الحزب البورجوازى للفلاحين والمهنيين البرنيين ، برن ١٩٦٨ .
الإضراب العام لسنة ١٩١٨ فى سويسرا . بقلم مارْك ڤُويْمْيِه وآخرين ، جنيف ١٩٧٧ .

أزمة فى الاقتصاد وأزمة فى السياسة

بونْجُورْ ، إدْجار : *تاريخ الحياد السويسرى* . أربعة قرون من السياسة الخارجية للاتحاد الكونفدرالى ، ٦ أجزاء ، بازِل ١٩٦٥ حتى ١٩٧٠ .
روفِّيه (بإمالة الواو إلى الياء) ، رولانْد : *سويسرا فيما بين الحربين* ، لوزان ١٩٧٤ .

ڤولْف ، ڤالْتر : *الفاشية فى سويسرا* . تأريخ حركة الجبهات فى سويسرا الألمانية ، ١٩٣٠ ـ ١٩٤٥ ، زيوريخ ١٩٦٩ .
چوزيف ، روچيه : *الاتحاد الوطنى ١٩٣٢ ـ ٣٩* . الفاشية فى سويسرا الروماندية المتكلمة بالفرنسية ، نيوشاتل ١٩٧٥ .
شْپيندلرْ ، كَاتارِينَا : *سويسرا والفاشية الإيطالية ١٩٢٢ ـ ١٩٣٠* ، بِلْلِينْزونَا ، ميلانو ١٩٨٠ .
جَاوْتْشِى ، ڤِيلِّى : *الجنرال هنرى جِيزَان* . قيادة الجيش السويسرى فى الحرب العالمية الثانية ، زيوريخ ١٩٨٩ .
أُورْنَرْ ، كْلاَوْسْ : < *سويسرا يجب أيضا ابتلاعها !* > خطط هتلر ضد سويسرا ، زيوريخ ١٩٩٠ .
كْرَايْسْ ، جِيورْج : *الرقابة والرقابة الذاتية* . سياسة الصحافة السويسرية فى الحرب العالمية الثانية ، بَازِل ١٩٧٣ .

سويسرا المعاصرة

سويسرا منذ ١٩٤٥ . إضافات للتاريخ المعاصر . إصدار إِرِيك جْرُونَرْ ، بِرْن ١٩٧١ .
دِيُونْج ، كْرِيسْتوف : *تاريخ سويسرا منذ ١٩٤٥* ، فْراوِنْفِلْد ١٩٨٤ .
أَلْتَرْماتّ ، أُورْس : *تاريخ السياسة الخارجية السويسرية* . من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى العصر الحاضر (١٩٤٥ ـ ١٩٩١) . فى : رِيكْلاَن أَلْوَا / هَاوْج هَانْس / ، پروبْسْتْ ريموند كتاب الجيب الجديد للسياسة الخارجية السويسرية ، بِرْن ١٩٩٢ .
دو (بإمالة الواو إلى الياء) بْوَا ، پِيير : *سويسرا والتحدى الأوربى ١٩٤٥/١٩٩٢* ، زيوريخ ١٩٩٠ .
ريبيرْ ، أَرْتُورْ فْرِيتْش : *الطريق إلى الصيغة السحرية* . انتخابات الاتحاد

السويسرية ١٩١٩ ـ ١٩٥٩ ، بِرْن ١٩٧٠ .

زومْر ، يورْغ هـ . (بإمالة الواو إلى الياء) : *الصراع من أجل التأمين الاجتماعي في سويسرا* . تحليل اقتصادى سياسى لأصول ، وتطورات واحتمالات التأمين الاجتماعى فى الصراع بين مصالح المجموعات وإمكانات الاقتصاد القومى ، دِيسِنْهوفِنْ ١٩٧٨ .

شْڤَانْدَرْ ، مارْسيل : *الجورا* ، موضوع صراع لعقد من الزمان ، زيورخ ١٩٧٧ .

كْرِيسِى ، هانْسْپيتَرْ/ليڤِى ، رِنيه : *التنشيط السياسى فى سويسرا ١٩٤٥ ـ ١٩٧٨* ، دِيسِنَهوفِنْ ١٩٨١ .

جْـرُونَر ، إرِيـكْ/هِرْتِيـجْ ، هَانْس پيتَـرْ : *المـواطن المقتـرع والسياسـة < الجديدة >* ، بِرْن وشْتُوتْجَارْت ١٩٨٣ .

ليڤِى ، رينيه/دوڤانيلْ (بإمالة الواو إلى الياء) ، لوزَان : *سياسة من تحت* . احتجاج المواطنين فى سويسرا ما بعد الحرب ، بَازِل ١٩٨٤ .

كْرَايْس ، جيورْجْ : *حماية الدولة فى سويسرا* ، بِرْن ١٩٩٣ .

حالة خاصة ؟ سويسرا بين العزلة وأوربا . معرض فى المتحف القومى السويسرى فى زيوريخ ، من ١٩ أغسطس حتى ١٥ نوفمبر ١٩٩٢ ، وجزء ملحق لِـ ڤَالْتَر لأيْنْجْرُوبَرْ وجَابْرِيلْلاَ كْرِيستِنْ ، زيوريخ ١٩٩٢ .

كونْجْ (بإمالة الواو إلى الياء) ، هَانْسْ : *سويسرا بدون توجيه ؟* رؤية أوربية ، زيوريخ ١٩٩٢ .

بِرْچِيه ، جَان ـ فْرَانْسْوَا : *أوربا والسويسريون* . وقاحة مؤرخ ، كَارُوچ ـ جنيف ١٩٩٢ .

كْرِيسْتوف دِيُونْج : *فلسفة من سويسرا* < ترجمته العربية *تحت الطبع* >
پيير دومينيسى ومَاتِّيَاسْ فِينْجَرْ : *تعليم البالغين فى سويسرا* < صدرت ترجمته العربية فى يناير ١٩٩٢ >
دِيتَرْ فَارْنِى : موجز تاريخ سويسرا من البداية حتى يومنا هذا <صدرت الطبعة الأولى من الترجمة العربية فى أكتوبر ١٩٨٩ ، والثانية فى يوليو ١٩٩١ ، والثالثة فى يناير ١٩٩٥ ، والرابعة فى سبتمبر ١٩٩٧ ، والخامسة فى يناير ١٩٩٩ >.

دومينيكْ جْرو ، پيتَرْ تْشُونْجِنْ ، فْرِدِرِيكْ رَادِفْ : *الشباب فى سويسرا*
يوسْتْ هوخُولِى : *تصميم الكتب فى سويسرا*
رينيه ليڤِى : *الهيكل الاجتماعى السويسرى* < صدرت ترجمته العربية فى يناير ١٩٩١ >

جَان ـ پيير پَاسْتورِى : *الرقص والباليه فى سويسرا*
دومينيكْ روسّيه : *الحياة الموسيقية فى سويسرا* < صدرت ترجمته العربية فى يناير ١٩٩٣ >

بِيَاتْ شْلِيْفَرْ : *المسرح فى سويسرا*
أورْڤَالْد زِيجّ : *المؤسسات السياسية السويسرية* < صدرت ترجمته العربية فى سبتمبر ١٩٩٠ >
مَارْكْ ڤْويْمْيه : المهاجرون واللاجئون فى سويسرا . لمحة تاريخية < صدرت ترجمته العربية فى سبتمبر ١٩٩١ >
بِرْنْهَارْدْ ڤِنْجَرْ : آداب سويسرا الأربعة < صدرت طبعته الأولى من الترجمة العربية فى يناير ١٩٨٩ ، والثانية فى أبريل ١٩٩١ >
إيزو كَامَارْتِينْ ، روجيه فرانسيّون ، دورِيسْ جَاكوبِكْ ـ فودوزْ ، رُودُلْف كيزَرْ ، جِيوفانى

اورِلْلِى ، بِيَاتْرِيسْ شْتوكْرْ : آداب سويسرا الأربعة < صدرت ترجمته العربية فى يونيو ١٩٩٨ ، والطبعة الثانية من الترجمة فى يناير ١٩٩٩ > .

أَلْفْرِدْ ڤَايْلَرْ : *اللهجة والفصحى فى سويسرا المتكلمة بالألمانية*

تتوفَّر معظم هذه الكتيبات باللغات الألمانية ، والفرنسية ، والإنجليزية ، والأسبانية ، والعربية وجزئيًا أيضًا بالإيطالية .

صدرت جميع هذه الترجمات العربية من پروهِلْڤِيْسْيَا القاهرة طرف السفارة السويسرية ١٠ شارع عبد الخالق ثروت .

يحتفل أحيانًا بدولة سويسرا الصغيرة الواقعة فى قلب أوربا على أنها أقدم جمهورية فى العالم . ولا يحاول هذا الكتيب إثبات هذا بمعالجته المختصرة لتطور سويسرا من البداية حتى وقتنا الحالى . إنه بالأحرى يعرض تاريخ سويسرا فى خطوط عامة من عصر الرومان حتى تأسيس الاتحاد الكونفدرالى القديم ، ثم من هنا إلى الدولة الاتحادية السويسرية ومنها إلى دولة سويسرا : الدولة الأوربية الصغيرة الحديثة . والهدف هو تقديم تاريخ سويسرى معاصر يكون مفهوما أيضًا من القارىء عند معالجة العلاقات المعقدة بين السياسة والتطوّر الاقتصادى والتحول الاجتماعى .

دِيتَر فَارْنِى ليسانسِ فلسفة . وُلد فى ١٩٥١ . درس التار[illegible]
والفلسفة فى جامعة بَازِلْ . يتركز اهتمامه الأكبر بتاريخ س[illegible]
١٩ و ٢٠ . كان يعمل من ١٩٧٩ حتى بداية ١٩٨٢ مساعدًا فى [illegible]
بَازِلْ . وهو يعمل منذ ذلك الوقت حتى الآن فى الإذاعة والتليف[illegible]